﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾

شرح الكلمات :

فما كان جواب قومه : أي لم يكن لهم من جواب إلا قولهم أخرجوا.

آل لوط : هم لوط عليه السلام وامرأته المؤمنه وابنتاه.

من قريتكم : أي مدينتكم سَدُوم.

يتطهرون : أي يتنزهون عن الأقذار والأوساخ.

قدرناها من الغابرين : أي حكمنا عليها أن تكون من الهالكين.

فساء مطر المنذرين : أي قبح مطر المنذرين من أهل الجرائم أنه حجارة من سجيل.

معنى الآيات :

هذه بقية قصص لوط عليه السلام إنه بعد أن أنكر لوط عليه السلام على قومه فاحشة اللواط وأنّبهم عليها، وقبّح فعلهم لها أجابوه مهددين له بالطرد والإبعاد من القرية كما أخبر تعالى عن ذلك بقوله : فما كان جواب قومه أى لم يكن لهم من جواب يردون به على لوط عليه السلام ﴿إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم﴾ أي إلا قولهم ﴿أخرجوا آل لوط من قريتكم﴾. وعللوا لقولهم هذا بقولهم ﴿إنهم أناس[1] يتطهرون﴾. أي يتنزهون عن الفواحش. قالوا هذا تهكماً، لا إقراراً منهم على أن الفاحشة قذر يجب التنزه عنه. ولما بلغ بهم الحد إلى تهديد نبي الله لوط عليه السلام بالطرد والسخرية منه أهلكهم الله تعالى وأنجى لوطاً وأهله إلا إحدى امرأتيه وكانت عجوزاً كافرة وهو معنى قوله تعالى في الآية (٥٧) ﴿فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين[2]﴾ حكمنا ببقائها مع الكافرين لتهلك معهم. وقوله تعالى في الآية (٥٨) ﴿وأمطرنا عليهم﴾ هو بيان لكيفية إهلاك قوم لوط بأن

(١) أي : عن أدبار الرجال استهزاءً منهم : قاله مجاهد، وقال قتادة : عابوهم والله بغير عيب، بأنهم يتطهرون من أعمال السوء.

(٢) (من الغابرين) قال ابن كثير: أي من الهالكين مع قومها لأنها كانت ردءاً لهم على دينهم وعلى طريقتهم في رضاها بأفعالهم القبيحة، فكانت تدل قومها على ضيفان لوط ليأتوا إليهم.

أمطر عليهم حجارة من سجيل منضود فأهلكهم. ﴿فساء مطر المنذرين﴾[1] أي قبح هذا المطر من مطر المنذرين الذين كذبوا بما أنذروا به وأصروا على الكفر والمعاصي . وهذا المطر كان بعد أن جعل الله عاليَ بلادهم سافلها ، أردف خسفها بمطرٍ من حجارة لتصيب من كان بعيداً عن المُدُن .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ بيان سنة أن الظلمة إذا أعيتهم الحجج والبراهين يفزعون إلى القوة .

٢ ـ بيان سنة أن المرء إذا أدْمن على قبح قول أو عمل يصبح غير قبيح عنده .

٣ ـ سنة إنجاء الله أولياءه وإهلاكه أعداءه بعد إصرار المنذرين على الكفر والمعاصي .

قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ

عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ

مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ

أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾

أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا

رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ

أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ

وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ

مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى

ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ

(١) الذين قامت عليهم الحجة ووصل إليهم الإنذار فخالفوا الرسول وكذبوه وهمّوا بإخراجه من بينهم .

رَحْمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾
أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۗ
أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾

شــرح الكلـمات :

اصطفى : أي اختارهم لحمل رسالته وإبلاغ دعوته.

آلله خير : أي لمن يعبده.

حدائق ذات بهجة : أي بساتين ذات منظر حسن لخضرتها وأزهارها.

يعدلون : أي بربهم غيره من الأصنام والأوثان.

جعل الأرض قراراً : أي قارة ثابتة لاتتحرك ولاتضطرب بسكانها.

وجعل خلالها أنهاراً : أي جعل الأنهار العذبة تتخللها للشرب والسقي.

وجعل لها رواسي : أي جبالاً أرساها بها حتى لاتتحرك ولاتميل.

بين البحرين حاجزاً : أي فاصلاً لايختلط أحدهما بالآخر.

ويكشف السوء : أي الضر، المرض وغيره.

قليلاً ماتذكرون : أي ماتتعظون إلا قليلاً.

بشراً بين يدي رحمته : أي مبشرة بين يدي المطر إذ الرياح تتقدم ثم باقي المطر.

أمن يبدأ الخلق ثم يعيده أي: يبدؤه في الأرحام، ثم يعيده يوم القيامة.

هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين : أي حجتكم إن كنتم صادقين أن مع الله إلهاً آخر فعل ماذكر.

معنى الآيـات :

لما أخبر الله تعالى رسوله بإهلاك المجرمين ونجاة المؤمنين أمر تعالى رسوله أن يحمده على ذلك تعليمًا له ولأمته إذا تجددت لهم نعمة أن يحمدوا الله تعالى عليها ليكون ذلك من شكرها قال تعالى : ﴿قل الحمد[1] لله﴾ أي الوصف بالجميل لله استحقاقاً.

---

(١) قال بعضهم: المأمور بالحمد هنا: لوط عليه السلام ورد وهو الحق أن المأمور به هو رسول الله ﷺ.

﴿وسلام[1] على عباده الذين اصطفى[2]﴾ الله لرسالته وإبلاغ دعوته إلى عباده ليعبدوه فيكملوا ويسعدوا على ذلك في الحياتين.

وقوله تعالى: ﴿آ الله[3] خير أمّا[4] يشركون﴾ أي آ الله الخالق الرازق المدبر القوى المنتقم من أعدائه المكرم لأوليائه؛ عبادته خير لمن يعبده بها أم عبادة من يشركون. فقوله ﴿أمن[5] خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء﴾ أي لحاجتكم إليه غسلاً وشرباً وسقيا ﴿فأنبتنا به حدائق﴾ أي بساتين محدقة بالجدران والحواجز ﴿ذات بهجة﴾ أي حسن وجمال، ﴿ماكان لكم أن تنبتوا شجرها﴾ أي لم يكن في استطاعتكم أن تنبتوا شجرها ﴿أ إله[6] مع الله﴾ لا والله ﴿بل هم قوم يعدلون﴾ أي يشركون بربهم أصناماً ويُسَوُّونها به في العبادات. وقوله تعالى: ﴿أمن جعل الأرض قراراً[7]﴾ أي قارة ثابتة لاتتحرك بسكانها ولاتضطرب بهم فيهلكوا. ﴿وجعل خلالها أنهاراً﴾ أي فيما بينها. ﴿وجعل لها رواسى﴾ أي جبالاً تثبتها، ﴿وجعل بين البحرين﴾ العذب والملح ﴿حاجزاً[8]﴾ حتى لا يختلط الملح بالعذب فيفسده.

﴿أ إله مع الله ؟﴾ والجواب: لا والله. ﴿بل أكثرهم لايعلمون﴾ ولو علموا لما أشركوا

---

(١) أصل السلام: السلامة والأمن ثابتان لمن يسلم عليه عند ملاقاته إذ قد يكون بينهما إحن فكان لفظ السلام كالعهد بالأمان، وقيل: السلام عليكم: كانت تحية البشر في عهد آدم عليه السلام.

(٢) قال بعضهم: الذين اصطفوا هم أمة محمد ﷺ، وقيل: هم الصحابة وردّ هذا بما هو الحق وهو (أن الذين اصطفوا) هم: رسل الله عليهم السلام وفي الآية تعليم أدب رفيع وهو أن من افتتح كلامه مذكراً أو واعظاً أو معلماً دارساً يفتتح كلامه بحمد الله والصلاة والسلام على رسوله محمد ﷺ.

(٣) (آالله) الاستفهام تقريري وهو إلجاء المخاطب إلى الإقرار، وخير هنا: ليست بمعنى أفضل، إذ لا خير البتة في آلهة المشركين وإنما من باب إيهام الخصم بأنه يعترف له بما يعتقده من خيْـرٍ في إلهه، حتى يُصْغي ويسمع ويتأمل علّه يهتدي أو هو مثل قول الشاعر:

أتهجوه ولست له بكفْء فشركما لخيركما الفداء

(٤) (أمّا) أصلها: أم المعادلة للهمزة وما: الموصولية أدغمت فيها أم فصارت أمّا والعائد محذوف تقديره: تشركونها، أي آلهتهم بالله تعالى.

(٥) (أم) المنقطعة بمعنى بل للاضراب الانتقالي من الاستفهام التهكمي للاستفهام التقريري أي: الذي خلق السموات وما عطف عليها خير وأحق بالعبادة.

(٦) هذا استئناف كالنتيجة للكلام قبلها لأن إثبات الخلق والرزق لله تعالى بدليل لا يسعهم إلا الإقرار به ينتج أنه لا إله معه، والاستفهام إنكاري أي: إنكار وجود إله مع الله الخالق الرازق والجواب: لا إله مع الله.

(٧) القرار: مصدر قرّ يقرّ قراراً الشيء: إذا سكن وثبت، وصفت الأرض بالقرار مبالغة في سكونها وثباتها حيث لا تتحرك ولا تضطرب بأهلها على مدى الحياة في حين أنها سابحة في الفضاء متحركة فيه كل لحظة فسبحان الله العلي القدير العزيز الحكيم.

(٨) إنّ هذا الحاجز ليس جسماً غير الماء إنما هو تفاوت الثقل النسبي لاختلاف أجزاء الماء المركب منها الماء المالح والماء العذب، فالحاجز حاجز من طعميهما وليس جسماً آخر فاصلا بينهما.

بالله مخلوقاته. وقوله تعالى: ﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه﴾[1] أي ليكشف ضره ﴿ويكشف السوء﴾ أي يبعده والسوء هو مايسوء المرء من مرض وجوع وعطش وقحط وجدب. ﴿ويجعلكم خلفاء الأرض﴾ جعل جيلاً يخلف جيلاً وهكذا الموجود خلف لمن سلف وسيكون سلفاً لمن خلف ﴿أ إله مع الله﴾[2] والجواب لا إله مع الله ﴿قليلاً ماتذكرون﴾ أي ماتتعظون إلا قليلاً بما تسمعون وترون من آيات الله.

وقوله تعالى: ﴿أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر﴾ في الليل بالنجوم وفي النهار بالعلامات الدالة والهادية إلى مقاصدكم ﴿ومن يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته﴾ أي من يثير الرياح ويرسلها تتقدم المطر وتبشر به؟ لا أحد غير الله إذاً.. أ إله مع الله. والجواب: لا، لا.. الله وحده الإله الحق وماعداه فباطل.

وقوله تعالى: ﴿تعالى الله عما يشركون﴾ نزه تعالى نفسه عن شرك المشركين أصناماً لاتبدىء ولاتعيد ولاتخلق ولاترزق ولاتعطي ولاتمنع. وقوله تعالى: ﴿أمن يبدأ الخلق﴾ أي نطفاً في الأرحام، ثم بعد حياته يميته، ثم يعيده وهو معنى ﴿ ثم يعيده﴾.

﴿ومن يرزقكم من السماء﴾ بالمطر ﴿والأرض﴾ بالنبات. والجواب: الله إذاً ﴿أ إله مع الله﴾ والجواب: لا، لا وإن قلتم هناك آلهة مع الله ﴿ قل هاتوا برهانكم﴾ أي حججكم ﴿إن كنتم صادقين﴾ أن غير الله يفعل شيئاً مما ذُكر في هذا السياق الكريم.

هداية الآيات:

١ ـ وجوب حمد الله وشكره عند تجدد الشكر، والحمد لله رأس الشكر.

٢ ـ مشروعية السلام عند ذكر الأنبياء عليهم السلام فمن ذكر أحدهم قال عليه السلام.

٣ ـ التنديد بالشرك والمشركين.

٤ ـ تقرير التوحيد بأدلته الباهرة العديدة.

٥ ـ تقرير عقيدة البعث الآخر وإثباتها بالاستنباط من الأدلة المذكورة.

٦ ـ لاتثبت الأحكام إلا بالأدلة النقلية والعقلية.

قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ

(١) قال ابن عباس: المضطر هو: ذو الضرورة المجهود، والضرورة هي: الحال المحوجة إلى الأشياء العسرة الحصول كالجوع والمرض والخوف ونحوهما من العزوبة وقلّة ذات اليد.

(٢) الاستفهام توبيخي إنكاري أي: إنكار أن يكون مع الله إله آخر لما قام على ذلك من الأدلة والحجج المذكورة، وإله مرفوع بما تعلّق به الظرف أو بإضمار يفعل ذلك أي: أإلٰـهٌ مع الله يفعل ذلك.

فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾

شـرح الكلمـات :

من فى السموات والأرض: الملائكة والناس.

الغيب إلا الله : أي ماغاب عنهم ومن ذلك متى قيام الساعة إلا الله فإنه يعلمه.

أيّان يبعثون : أي متى يبعثون.

بل ادارك علمهم فى الآخرة : أي تلاحق وهو مامنهم أحد إلا يظن فقط فلا علم لهم بالآخرة بالمرة.

بل هم منها عمون : أي في عمى كامل لايبصرون شيئاً من حقائقها.

أئنا لمخرجون : أي أحياء من قبورنا.

لقد وعدنا هذا : أي البعث أحياء من القبور.

أساطير الأولين : أي أكاذيبهم التي سطروها في كتبهم.

كيف كان عاقبة المجرمين : أي المكذبين بالبعث كانت دماراً وهلاكاً وديارهم الخاوية شاهدة بذلك.

معنى الآيـات :

قوله تعالى: ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾ لما سأل المشركون من قريش النبي ﷺ عن الساعة أمره تعالى أن يجيبهم بهذا الجواب ﴿قل لا يعلم﴾ الخ.. والساعة من جملة الغيب بل هي أعظمه. ﴿من في السموات﴾ من الملائكة ﴿والأرض﴾ من الناس ﴿إلا الله﴾[1] أي لكن

(١) أخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها قولها: من زعم أنّ محمداً يعلم ما في غدٍ فقد أعظم على الله الفرية، والله تعالى يقول: (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله) وذكر القرطبي ما خلاصته: انّ منجماً أتى به إلى الحجاج فاعتقله ثم أخذ حصيات فعدّها وقال للمنجّم: كم من حصيات في يدي فأخبره بعددها، ثم أخذ أخرى ولم يعدها وسأل المنجم عنها فلم يعرف عددها وكرر هذا ثلاث مرات فلم يعرف المنجم فسأله كيف عرفت في الأولى ولم تعرف في غيرها؟ قال: لأنك لما عددتها خرجت من الغيب فعلمتها أمّا الغيب فلا يعلمه إلا الله.

الله تعالى يعلم غيب السموات والأرض أما غيره فلا يعلم إلا ماعلمه الله علام الغيوب.

وقوله تعالى : ﴿ومايشعرون أيّان يبعثون﴾ أي ومايشعر أهل السموات وأهل الأرض متى يبعث الأموات من قبورهم للحساب والجزاء وهذا كقوله تعالى في سورة الأعراف.

﴿يسألونك عن الساعة قل إنما علمها عند ربي لايجليها لوقتها إلا هو، ثقلت في السموات والأرض لاتأتيكم إلا بغتة﴾.

وقوله تعالى : ﴿بل ادّارَكَ[1] علمهم في الآخرة﴾ قرىء ﴿بل أدْرَكَ علمهم في الآخرة﴾ أي بلغ حقيقته يوم القيامة إذ يصبح الإيمان بها الذي كان غيباً شهادة ولكن لاينفع صاحبه يومئذ. وقرىء ﴿بل ادارك علمهم﴾ أي علم المشركين بالآخرة. أي تلاحق وأدرك بعضه بعضاً وهو أنه لاعلم لهم بها بالمرة. ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى : ﴿بل هم فى شك منها بل هم منها عمون[2]﴾ أي لايرون شيئاً من دلائلها، ولا حقائقها بالمرة ويدل على هذا ما أخبر به تعالى عنهم من أنهم لايؤمنون بالساعة بالمرة في قوله ﴿وقال الذين كفروا أئذا[3] كنا تراباً وآباؤنا أئنا لمخرجون﴾ أي من قبورنا أحياء. والاستفهام للانكار الشديد ويؤكدون إنكارهم هذا بقولهم :

لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل أي من قبل أن يعدنا محمد. ﴿إن هذا﴾ أي الوعد بالبعث والجزاء ﴿إلا اساطير الأولين﴾ أي أكاذيبهم وحكاياتهم التى يسطرونها فى الكتب ويقرأونها على الناس. وقوله تعالى في آخر آية من هذا السياق (٦٩) ﴿قل سيروا في الأرض﴾ أي قل لهم يارسولنا سيروا في الأرض جنوباً أو شمالاً أو[4] غرباً ﴿فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين﴾ أي أهلكناهم لما كذبوا بالبعث كما كذبتم، فالقادر على خلقهم ثم إماتتهم قادر قطعاً على بعثهم وإحيائهم لمحاسبتهم وجزائهم بكسبهم. فالبعث إذاً ضروري لاينكره ذو عقل راجح أبداً.

---

(١) أصل : (ادّارك) : تدارك فسكنت التاء وأدغمت في الدال وجلبت همزة الوصل فصارت : ادّارك.

(٢) (عمون) أصلها : عميون : حذفت الياء وضمت الميم تخفيفاً، والمفرد عم.

(٣) قر نافع : (إذا كنا) بدون همزة استفهام، وبتسهيل همزة أينا، وقرأ حفص بهمزتين محققتين أإذا وأئنا.

(٤) جنوباً حيث ديار عاد، وشمالاً حيث ديار ثمود، وغرباً حيث مدين والمؤتفكات.

هداية الآيـات :

من هدية الآيـات :

١ ـ حصر علم الغيب في الرب تبارك وتعالى. فمن ادعى أنه يعلم مافي غد فقد كذب[1].

٢ ـ تساوي علم أهل السماء والأرض في الجهل بوقت قيام الساعة.

٣ ـ المكذبون بيوم القيامة سيوقنون به في الآخرة ولكن لاينفعهم ذلك.

٤ ـ إهلاك الله الأمم المكذبة بالبعث بعد خلقهم ورزقهم دليل على قدرته تعالى على بعثهم لحسابهم وجزائهم.

وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾

شـرح الكلمـات :

ولاتحزن عليهم. الآية : المراد به تسلية الرسول ﷺ.

مما يمكرون : أي بك إذ حاولوا قتله ولم يفلحوا.

متى هذا الوعد : أي بعذابنا.

بعض الذي تستعجلون : وقد حصل لهم في بدر.

إن الله لذو فضل على الناس : أي في خلقهم ورزقهم وحفظهم وعدم إنزال العذاب بهم.

ماتكن صدورهم : أي ماتخفيه وتستره صدورهم.

ومامن غائبة : أي مامن حادثة غائبة في السماء والأرض الا في كتاب مبين هو اللوح المحفوظ مدونة فيه مكتوبة.

---

(١) شاهده حديث مسلم عن عائشة رضي الله عنها وقد تقدم انفا.

معنى الآيـــات :

مازال السياق في دعوة المشركين إلى التوحيد والإيمان بالنبوة والبعث الآخر ولقد تقدم تقرير كل من عقيدة التوحيد بأدلة لاتُرد، وكذا تقرير عقيدة البعث والجزاء ولكن المشركين مازالوا يعارضون ويمانعون بل ويمكرون فلذا نهى الله تعالى رسوله عن الحزن على المشركين في عدم إيمانهم كما نهاه عن ضيق[1] صدره مما يمكرون[2] ويكيدون له ولدعوة الحق التي يدعو إليها. هذا مادلت عليه الآية الأولى (٧٠) وأما الآية الثانية والثالثة فإنه تعالى يخبر رسوله بما يقول أعداؤه ويلقنه الجواب. فقال تعالى: (٧١) ﴿ويقولون متى[3] هذا الوعد﴾ - أي بالعذاب - ﴿إن كنتم صادقين﴾ - فيما تقولون وتعدون - ﴿قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون﴾ أي اقترب[4] منكم ودنا وهو ماحصل لهم في بدر من الأسر والقتل هذا مادلت عليه الآيتان (٧١ و ٧٢).

وقوله تعالى: ﴿وإن ربك لذو فضل على الناس[5]﴾ مؤمنهم وكافرهم إذ خلقهم ورزقهم وعافاهم ولم يهلكهم بذنوبهم ﴿ولكن أكثرهم لايشكرون﴾ فهاهم أولاء يستعجلون العذاب ويطالبون به ومع هذا يمهلهم لعلهم يتوبون، وهذا أعظم فضل. وقوله تعالى: ﴿وإن ربك ليعلم ماتكن[6] صدورهم ومايعلنون﴾ أي لايخفى عليه من أمرهم شيء وسيحصي لهم أعمالهم ويجزيهم بها وفي هذا تسلية لرسول الله ﷺ ووعيد لهم وتهديد وقوله تعالى: ﴿وما من غائبة[7] في السماء والأرض إلا في كتاب مبين﴾. وهو اللوح المحفوظ أي إن علم ربك أحاط بكل شيء ولايعزب عنه شيء وهذا مظهر من مظاهر العلم الإلهي المستلزم للبعث والجزاء، إذ لو قل علمه بالخلق لكان من الجائز أن يترك بعضاً لايبعثهم ولايحاسبهم ولايجزيهم.

---

(١) الضِّيق: بفتح الضاد وكسرها قرَأهُ الجمهور بالفتح، وقرأ غيرهم بالكسر وحقيقة الضيق: عدم اتساع المكان أو الوعاء لما يراد إدخاله فيه، والمراد به هنا الحالة الحرجة التي تعرض للنفس عند كراهية شيء فيحس بضيق في صدره.

(٢) ومن أعظم مكرهم به ﷺ حكمهم الجائر بقتله في مكة لولا أنّ الله أنجاه منهم.

(٣) الاستفهام للإنكار والاستبعاد، والآية نزلت في المستهزئين الذين هلكوا ببدر.

(٤) هذا تفسير لـ(ردف لكم) يقال: ردفه وأردفه: إذا تبعه كتبعه واتبعه وردفه وردف له بمعنى قال الشاعر:

عاد السواد بياضاً في مفارقه   لا مرحباً ببياض الشيب إذ ردف

والشاهد في ردف وأردف: إذا تبع، وقال آخر:

إذا الجوزاء أردفت الثريًا   ظننت بآل فاطمة الظنونا

(٥) في إدرار الرزق وتأخير العقوبة.

(٦) قرىء: تكن من كن الشيء يكنه إذا ستره، وقرأ الجمهور (تُكن) من أكنّ الشيء إذا ستره أيضاً.

(٧) قال الحسن: الغائبة هنا: القيامة، وهو حق ولكن اللفظ أعم إذ هو يشمل كل غيب وهو ما غاب عن الخلق في الأرض أو في السماء، فالله تعالى يعلمه وكيف لا، وقد كتبه في كتاب المقادير والغائبة: اسم للشيء الغائب، والتاء فيه للنقل من الوصفية إلى الأسمية كالتاء في الفاتحة، والعاقبة، والمراد ما غاب عن علم الناس، واشتقاقه من الغيب ضدّ الحضور.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ تسلية الرسول ﷺ لأنه يعاني شدة من ظلم المشركين وإعراضهم.
٢ ـ بيان تعنت المشركين وعنادهم.
٣ ـ تحقق وعد الله للمشركين حيث نزل بهم بعض العذاب الذي يستعجلون.
٤ ـ بيان فضل الله تعالى على الناس مع ترك أكثرهم لشكره سبحانه وتعالى.
٥ ـ بيان إحاطة علم الله بكل شيء.
٦ ـ إثبات وتقرير كتاب المقادير، وهو اللوح المحفوظ.

إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾

شرح الكلمات :

يقص على بني إسرائيل : أي يذكر أثناء آياته كثيراً مما اختلف فيه بنو إسرائيل.
هدى ورحمة للمؤمنين : أي به تتم هداية المؤمنين ورحمتهم.
يقضي بينهم بحكمه : أي يحكم بين بني إسرائيل بحكمه العادل.
وهو العزيز العليم : الغالب على أمره، العليم بخلقه.
فتوكل على الله : أي ثق فيه وفوض أمرك إليه.
إنك لاتسمع الموتى : أي لو أردت أن تسمعهم لأنهم موتى.

ولاتسمع الصم الدعاء : أي ولاتقدر على إسماع كلامك الصم الذين فقدوا حاسة السمع.

إذا ولوا مدبرين : أي إذا رجعوا مدبرين عنك غير ملتفتين إليك.

إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا: أي ماتسمع إلا من يؤمن بآيات الله.

معنى الآيات :

قولـه تعـالى : ﴿إن هذا القرآن﴾[1] الكريم الذي أنزل على محمد ﷺ [يقص على بني إسرائيل] المعاصرين لنزوله (أكثر الذى هم فيه يختلفون) كاختلافهم في عيسى عليه السلام ووالدته، إذ غلا فيهما البعض وأفرطوا فألّهوهما وفرط فيهما البعض فقالوا فى عيسى ساحر، وفي مريم عاهـرة لعنهم الله، وكـاختـلافهم فى صفـات الله تعـالى وفي حقيقة المعاد، وكاختلافهم في مسائل شرعية وأخرى تاريخية. وقوله تعالى: ﴿وإنه لهدى[2] ورحمة﴾ أي وإن القـرآن الكريم لهدى، أي لهادٍ لمن آمن به إلى سبيل السلام ورحمة شاملة ﴿للمؤمنين﴾[3] به، العاملين بما فيه من الشرائع والآداب والأخلاق. وقوله تعالى : ﴿إن ربك﴾ أي أيها الرسول ﴿يقضي بينهم﴾ أي بين الناس من وثنيين وأهل كتاب يوم القيامة بحكمه[4] العادل الرحيم، ﴿وهو العزيز﴾ الغالب الذي ينفذ حكمه فيمن حكم له أو عليه ﴿العليم﴾ بالمحقين من المبطلين من عباده فلذا يكون حكمه أعدل وأرحم ولذا ﴿فتوكل[5] على الله﴾أيهاالرسول بالثقة فيه وتفويض أمرك إليه فإنه كافيك. وقوله : ﴿إنك على الحق المبين﴾ أي إنك يارسولنا على الدين الحق الذي هو الإسلام وخصومك على الباطل فالعاقبة الحسنى لك، لامحالة. وقوله تعالى : ﴿إنك لاتسمع الموتى﴾ والكفار موتى بعدم وجود روح الإيمان في أجسامهم والميت

---

(١) هذا الكلام مستأنف استئنافاً بيانياً إذ هو جواب لكل شاك في توحيد الله وفي البعث الآخر وفي نبوة رسوله محمد ﷺ فمن قال: كيف يكون لا إله إلا الله وكيف يكون البعث وكيف يكون محمد رسولاً؟ فالجواب : أنّ هذا القرآن العظيم أكبر برهان وأعظم دليل على صدق تلك القضايا الثلاث : التوحيد، والبعث، والنبوة.

(٢) هذا التوكيد بأنّ في المواطن الثلاثة : (إنّ هذا القرآن) و(إنه لهدى) (إن ربك يقضي) تطلبه الابتداء من جهة وشأن الاخبار من جهة أخرى. لأنّ عادة الإنسان إذا أخبر بخبر ذي شأن يتساءل في نفسه عن صحته وعدمها فيتعين التأكيد له.

(٣) خصّ المؤمنون بالذكر دون الكافرين لأنهم هم المنتفعون به.

(٤) جائز أن يكون المراد من الحكم : الحكمة، أي : يحكم بينهم بالحكمة التي تضع كلّ شيء في موضعه فلا يحدث حيف ولا جور. وإطلاق الحكم على الحكمة كثير في القرآن منه : (وآتيناه الحكم صبيا) ويجوز أن يكون الحكم على ظاهره أو يحكم بينهم بحكمه المعروف بالعدل والنزاهة من الحيف والجور والخطأ.

(٥) الفاء تفريعية أي : فبناء على عزّة الله وعلمه فتوكل عليه ولا تخف فإنه لعزته وعلمه لايضيعك ولا يهمل شأنك.

لايسمع فلذا لاتقدر على إسماع هؤلاء الكافرين الأموات[1]، كما انك ﴿لاتسمع الصم﴾ أي الفاقدين لحاسة السمع ﴿الدعاء﴾ أي دعاءك ﴿إذا ولوا مدبرين﴾ أي إذا رجعوا مدبرين غير ملتفتين إليك. ﴿وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم﴾ التي يعيشون عليها فهوّن على نفسك ولاتكرب ولاتحزن ﴿إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا﴾ أي ماتسمع إسماع تفهم وقبول إلا المؤمنين بآيات الله، ﴿فهم مسلمون﴾ أي فهم من أجل إيمانهم مسلمون أي منقادون خاضعون لشرع الله وأحكامه.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ شر ف القرآن وفضله.

٢ ـ لن ينتهي خلاف اليهود والنصارى إلا بالإسلام فإذا أسلمو ا اهتدوا للحق وانتهى كل خلاف بينهم.

٣ ـ كل خلاف بين الناس اليوم سيحكم الله تعالى بين أهله يوم القيامة بحكمه العادل ويوفى كلاماله أو عليه وهو العزيز العليم.

٤ ـ الكفار أموات لخلو أبدانهم من روح الإيمان فلذا هم لايسمعون الهدى ولايبصرون الآيات مهما كانت واضحات.

فعلى داعيهم أن يعرف هذا فيهم وليصبر على دعوتهم ودعاويهم.

۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

---

(١) احتجت عائشة رضي الله عنها بهذه الآية على عدم إسماع النبي ﷺ موتى بدر لما قيل لها في ذلك وردّ عليها قولها إذ استعملت القياس العقلي مع وجود النص ولا قياس مع النص فقد صحّ أنه ﷺ ناداهم وهم في القليب وقال لهم (أيسركم أنكم أطعتم الله و ورسوله؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا. فقيل: يا رسول الله: ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟ فقال النبي ﷺ (والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم) قال قتادة: أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخاً وتصغيراً ونقمة وحسرة وندما وقد خصصت هذه الآية بسماع أهل القبور. سلام من سلّم عليهم.

﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾﴾ ﴿٨٤﴾

شرح الكلمات :

وقع القول عليهم	: أي حق عليهم العذاب .
دابة من الأرض	: حيوان يدب على الأرض لم يرد وَصْفُها في حديث صحيح يعول عليه ويقال به .[1]
تكلم الناس	: بلسان يفهمونه لأنها آية من الآيات .
أن الناس كانوا بآياتنا لايوقنون	: أي بسبب أن الناس أصبحوا لايؤمنون بآيات الله وشرائعه أي كفروا فيبلون بهذه الدابة .
ويوم نحشر	: أي اذكر يوم نحشر أي نجمع .
من كل أمة فوجاً	: أي طائفة وهم الرؤساء المتبوعون في الدنيا .
فهم يوزعون	: أي يجمعون برد أولهم على آخرهم .
حتى إذا جاءوا	: أي الموقف مكان الحساب .
وقع القول عليهم	: أي حق عليهم العذاب .
بما ظلموا	: أي بسبب الظلم الذي هو شركهم بالله تعالى .
فهم لاينطقون	: أي لاحجة لهم .
والنهار مبصراً	: أي يبصر فيه من أجل التصرف في الأعمال .

معنى الآيـات :

قوله تعالى : ﴿وإذا وقع القول عليهم﴾ أي حق العذاب على الكافرين حيث لم يبق في

(١) مثل تلك الأحاديث: حديث حذافة ونصه: كما رواه أبو داود الطيالسي قال: (ذكر رسول الله ﷺ الدابة فقال لها ثلاث خرجات من الدهر فتخرج في أقصى البادية ولا يدخل ذكرها القرية ـ مكة ـ ثم تكمن زمانا ثم تخرج خرجة أخرى دون ذلك فيفشوا ذكرها في البادية ويدخل ذكرها القرية يعني مكة. قال رسول الله ﷺ ثم بينا الناس في اعظم المساجد على الله حرمة خيرها وأكرمها على الله المسجد الحرام لم يرعهم إلا وهي ترغو بين الركن والمقام تنفض عن رأسها التراب فارفض الناس منها شتى ومعاً وثبتت عصابة من المؤمنين وعرفوا أنهم لن يعجزوا الله فبدأت بهم فجلت وجوههم حتى جعلتها كأنها الكوكب الدري، وولت في الأرض لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب حتى إنّ الرجل ليعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول: يا فلان الآن تصلي فتقبل عليه فتسمُه في وجهه ثم تنطلق فتميّز الكافر من المؤمن).

الأرض من يأمر بمعروف ولا من ينهى عن منكر ﴿أخرجنا لهم﴾ لفتنتهم ﴿دابة من الأرض﴾ حيوان أرضي ليس بسماوي ﴿تكلمهم﴾ أي بلسان يفهمونه، ﴿أن الناس[1] كانوا بآياتنا لايوقنون﴾ هذه علة تكليمهم وهي بأن الناس كفروا وما أصبحوا يوقنون بآيات الله وشرائعه فيخرج الله تعالى هذه الدابة لِحِكَمٍ منها :أن بها يتميز المؤمن من الكافر. وقوله تعالى : ﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجاً﴾ أي واذكر يارسولنا ﴿يوم نحشر من كل أمة﴾ من الأمم البشرية ﴿فوجاً﴾ أي جماعة ﴿ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون﴾ بأن يرد أولهم على آخرهم لينتظم سيرهم ﴿حتى إذا جاءوا﴾ الموقف موضع الحساب يقول الله تعالى لهم : ﴿أكذبتم بآياتي﴾ وما اشتملت عليه من أدلة وحجج وشرائع وأحكام ﴿ولم تحيطوا بها علماً﴾، وهذا تقريع لهم وتوبيخ. إذ كون الانسان لم يحط علماً بشيء لايجوز له أن يكذب به لمجرد أنه ماعرفه. وقوله : ﴿أم ماذا كنتم تعملون﴾ أي ما الذي كنتم تعملون في آياتي من تصديق وتكذيب. قال تعالى ﴿ووقع القول عليهم﴾ أي وجب العذاب ﴿بما ظلموا﴾ أي بسبب ظلمهم[2] ﴿فهم لاينطقون﴾. أي بعجزهم عن الدفاع عن أنفسهم لأنهم ظَلَمَةٌ مشركون.

وقوله تعالى : ﴿ألم يروا[3]﴾ أي ألم يبصر أولئك المشركون المكذبون بالبعث والجزاء أن الله تعالى جعل ﴿الليل ليسكنوا فيه﴾ وسكونهم هو موتهم على فرشهم بالنوم فيه ﴿والنهار﴾ أي وجعل ﴿النهار مبصراً﴾ أي يبصر فيه ليتصرفوا فيه بالعمل لحياتهم، فنوم الليل شبيه بالموت وانبعاث النهار شبيه بالحياة، فهي عملية موت وحياة متكررة طوال الدهر فكيف ينكر العقلاء البعث الآخر وله صورة متكررة طوال الحياة، ولذا قال تعالى : ﴿إن في ذلك﴾ أي في ذلك العمل المتكرر للموت والحياة كل يوم وليلة ﴿لآيات﴾ أي براهين وحجج قاطعة على وجود بعث وحياة بعد هذا الموت والحياة. وخص المؤمنون بالذكر وبالحصول على البرهان المطلوب من عملية الليل والنهار لأن المؤمنين أحياء يسمعون ويبصرون ويفكرون والكافرين أموات والميت لايسمع ولايبصر ولايعي ولايفكر.

---

(١) قرأ نافع بكسر إنَّ، والجملة تعليلية لما قبلها، وقرأ حفص بفتحها على تقدير حرف جَرٍّ قبلها بأن أو لأن للسببية أو التعليل.

(٢) أي : بشركهم إذ الشرك أعظم أنواع الظلم وهو الموجب لدخول النار والخلود فيها.

(٣) الاستفهام هنا للتعجب من حالهم كيف لا يبصرون آيات الله في الكون فتهديهم إلى توحيد الله تعالى.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ تأكيد آية الدابة والتي تخرج من صدع من الصفا وقد وجد الصدع الآن فيما يبدو وهي الأنفاق التي فتحت في جبل الصفا وأصبحت طرقاً عظيمة للحجاج ، وعما قريب تخرج ، وذلك يوم لايبقى من يأمر بالمعروف ولامن ينهى عن المنكر فيحق العذاب على الكافرين .

٢ ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر وصف لها .

٣ ـ ويل لرؤساء الضلالة والشر والشرك والباطل إذ يؤتى بهم ويسألون .

٤ ـ فى آية الليل والنهار مايدل بوضوح على عقيدة البعث الآخر والحساب والجزاء .

وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾

شرح الكلمات :

ويوم ينفخ في الصور : أي يوم ينفخ إسرافيل في البوق نفخة الفزع والفناء والقيام من القبور.

وكل أتوه داخرين : أي وكل من أهل السماء والأرض أتوا الله عز وجل داخرين أي أذلاء صاغرين .

وترى الجبال تحسبها جامدة : أي تظنها في نظر العين جامدة .

وهي تمر مر السحاب : وذلك لسرعة تسيرها .

من جاء بالحسنة : وهي الإيمان والتوحيد وسائر الصالحات.
فله خير منها : أي الجنة.
ومن جاء بالسيئة : أي الشرك والمعاصي فله النار يكب وجهه فيها.
وهم من فزع يومئذ آمنون : أي أصحاب حسنات التوحيد والعمل الصالح آمنون من فزع هول يوم القيامة.
ومن جاء بالسيئة فكبت : أي جاء بالسيئة كالشرك وأكل الربا، وقتل النفس، فكبت وجوههم في النار والعياذ بالله أي القوا فيها على وجوههم
هل تجزون إلا ماكنتم تعملون : أي ماتجزون إلا بعملكم، ولاتجزون بعمل غيركم.

معنى الآيات :

مازال السياق في ذكر أحداث القيامة تقريراً لعقيدة البعث والجزاء التي هي الباعث على الاستقامة في الحياة. فقال تعالى ﴿ويوم[1] ينفخ في الصور﴾ أي ونفخ إسرافيل بإذن ربه في الصور الذي هو القرن أو البوق ﴿ففزع[2] من في السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله﴾ وهي نفخة الفزع فتفزع لها الخلائق إلا من استثنى الله تعالى وهم الشهداء فلا يفزعون وهي نفخة الفناء أيضاً إذ بها يفنى كل شىء، وقوله تعالى ﴿وكل أتوه[3]﴾ أي أتوا الله تعالى ﴿داخرين﴾ أي صاغرين ذليلين أتوه إلى المحشر وساحة فصل القضاء وقوله ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة﴾ أي لاتتحرك وهي في نفس الواقع تسير[4] سير السحاب ﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾ أي أوثق صنعه[5] وأحكمه ﴿إنه خبير بما تفعلون﴾ وسيجزيكم أيها الناس بحسب علمه ﴿من جاء بالحسنة﴾ وهي الايمان والعمل الصالح ﴿فله خير منها﴾ ألا وهي الجنة ﴿ومن جاء بالسيئة﴾ وهي الشرك والمعاصى ﴿فكبت وجوههم في النار﴾ فذلك

---

(١) العامل في الظرف محذوف للعلم به أي: واذكر يوم ينفخ في الصور، والنافخ هو اسرافيل عليه السلام.
(٢) للفزع معنيان، وكلاهما صالح لدلالة هذا اللفظ عليه، الأوّل: الفزع بمعنى الإسراع: لنداء الداعي، والثاني الخوف والهلع.
(٣) قرأ حفص (وكل أتوه) بالفعل الماضي، وقرأ نافع (آتوه) باسم الفاعل أي: آتون إليه جمع آتٍ.
(٤) قيل: إنّ قوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) هو خطاب للنبي ﷺ خاصة أطلعه فيه على سر من أسرار الكون ولم يبح به لعجز الناس عن إدراكه في ذلك الزمن وحقيقته: أن الأرض تدور حول الشمس دورة في كل يوم وليلة، ودورتها هي تسير معها الجبال فيها قطعاً فيرى المرء الجبال يحسبها جامدة وهي تمر مع الأرض مرّ السحاب والمرور غير السير فالسير يوم الفناء أما المرور يقال: مرّ بفلان يحمله معه ولا يقال سار به. ورشح هذا المعنى قوله بعدُ: (صنع الله الذي أتقن كل شيء).
(٥) الصنع مصدر صنع الشيء يصنعه صنعاً.

جزاء من جاء بالسيئة .

وقوله تعالى : ﴿هل تجزون[1] إلا ما كنتم تعملون﴾ أي لا تجزون إلا ماكنتم تعملونه في الدنيا من خير وشر وقد تم الجزاء بمقتضى ذلك فقوم دخلوا الجنة وآخرون كبت وجوههم في النار.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر أحداثها مفصلة .

٢ ـ بيان كيفية خراب العوالم وفناء الأكوان .

٣ ـ فضل الشهداء حيث لا يحزنهم الفزع الأكبر وهم آمنون .

٤ ـ تقرير مبدأ الجزاء وهو الحسنة والسيئة ، حسنة التوحيد وسيئة الشرك .

إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

شرح الكلمات :

هذه البلدة : أي مكة المكرمة والاضافة للتشريف .

الذي حرمها : أي الله الذي حرم مكة فلا يختلى خلاها ولا ينفَّر صيدها ولا يقاتل فيها .

من المسلمين : المؤمنين المنقادين له ظاهراً وباطناً وهم أشرف الخلق .

وأن أتلو القرآن : أي أمرني أن أقرأ القرآن إنذاراً وتعليماً وتعبداً .

---

(١) الاستفهام للنفي كما في التفسير.

سيريكم آياته : أي مدلول آيات الوعيد فيعرفون ذلك وقد أراهموه في بدر وسيرونه عند الموت .

وماربك بغافل عما يعملون : أي وماربك أيها الرسول بغافل عما يعمل الناس وسيجزيهم بعملهم .

معنى الآيات :

إنـه بعـد ذلك العرض الهائل لأحداث القيامة والذي المفروض فيه أن يؤمن كل من شاهده ولكن القوم ما آمن أكثرهم ومن هنا ناسب بيان موقف الرسول ﷺ وهو أنه عبد مأمور بعبادة ربه لا غير ربه الذي هو رب هذه البلدة الذي[1] حرمها فلا يقاتل فيها ولايصاد صيدها ولايختلى خلاها ولاتلتقط لقطتها إلا لمن يعرفها، وله كل شيء خلقاً وملكاً وتصرفاً فليس لغيره معه شيء في العوالم كلها علويّها وسفليّها وقوله : ﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ أي وأمرني ربي أن أكون في جملة المسلمين أي المنقادين لله والخاضعين له وهم صالحو عباده من الأنبياء والمرسلين. وقوله : ﴿وأن أتلو القرآن﴾ أي وأمرني أن أتلو القرآن تلاوة إنذار وتعليم وتعبداً وتقرباً إليه تعالى وبعد تلاوتي فمن اهتدى عليها فعرف طريق الهدى وسلكه فنتائج الهداية وعائدها عائد عليه هو الذى ينتفع بها . ومن ضل فلم يقبل الهدى وأقام على ضلالته فليس علي هدايته لأن ربي قال لي قل لمن ضل ﴿إنما أنا من المنذرين﴾ لا من واهبى الإيمان والهـداية انمـا يهب الهـداية ويمن بهـا الله الـذي بيده كل شيء ﴿وقل الحمـد لله﴾ وأمـرني أن أحمـده على كل ماوهبني من نعم لاتعد ولاتحصى ومن أجلّها إكرامه لي بالرسالة التي شرفني بها على سائر الناس فالحمد لله والمنة له وقوله ﴿سيريكم آياته[2] فتعرفونها﴾ أي وأعلم هؤلاء المشركين أن الله ربي سيريكم آياته في مستقبل أيامكم وقد أراهم أول آية في بدر وثاني آية في الفتح وآخر آية عند الموت يوم تضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم وتقول لهم «ذوقوا عذاب الحريق» وقوله تعالى ﴿وماربك بغافل عما تعملون[3]﴾ أي وماربك الذي أكرمك وفضلك أيها الرسول ﴿بغافل عما تعملون﴾ أيها الناس مؤمنين وكافرين وصالحين وفاسدين وسيجزى كلًا بعمله وذلك يوم ترجعون إليه ففي الأية وعد ووعيد.

---

(١) قرأ ابن عباس رضي الله عنهما : (ربّ هذه البلدة التي حرّمها) نعتاً للبلدة. وقرأ الجمهور الذي وهو في موضع نصب نعت لـ ربّ.

(٢) أي : في أنفسكم وفي غيركم كما قال تعالى : (سنريهم آيتنا في الآفاق وفي أنفسهم) من سورة فصلت.

(٣) قرأ نافع وحفص والجمهور بتاء الخطاب، وقرأ غيرهم بياء الغيبة.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- بيان وظيفة الرسول ﷺ وأنها عبادة الله والإسلام له، وتلاوة القرآن إنذاراً وإعذاراً وتعليماً وتَعَبُّداً به وتقرباً إلى منزله عز وجل.

٢ - بيان وتقرير حرمة مكة المكرمة والحرم.

٣ - الندب إلى حمد الله تعالى على نعمه الظاهرة والباطنة ولاسيما عند تجدد النعمة وعند ذكرها.

٤ - بيان أن عوائد الكسب عائدة على الكاسب خيراً كانت أو شراً.

٥ - بيان معجزة القرآن الكريم إذ ما أعلم به المشركين أنهم سيرونها قد رأوه فعلاً وهو غيب، فظهر كما أخبر.

سُورَةُ القَصَصِ

مكيـــــة

واياتها ثمان وثمانون اية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾

﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾

شرح الكلمات :

طسم : هذه إحدى الحروف المقطعة تكتب طسم وتقرأ: طا، سينْ، ميمْ.

تلك : أي الآيات المؤلفة من مثل هذه الحروف هى آيات القرآن الكريم.

نتلو عليك : أي نقرأ عليك قاصين شيئاً من نبأ موسى وفرعون أي من خبرهما.

لقوم يؤمنون : أي لأجل المؤمنين ليزدادوا إيماناً ويوقنوا بالنصر وحسن العاقبة.

علا في الأرض : أي تكبر وظلم فادعى الربوبية وظلم بني إسرائيل ظلماً فظيعاً.

شيعاً : أي طوائف بعضهم عدوّ لبعض من باب فَرِّقْ تَسُدْ.

ويستحي نساءهم : أي يبقي على النساء لايذبح البنات لأنه لايخاف منهن ويذبح الأولاد لخوفه مستقبلاً على ملكه منهم.

ونريد أن نمن : أي ننعم على الذين استضعفوا فنجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين.

ما كانوا يحذرون : من المولود الذي يولد في بني إسرائيل ويذهب بملكهم.

معنى الآيات :

«طسم» : هذا اللفظ الله أعلم بمراده منه، وقد أفاد فائدتين عظيمتين الأولى هي إعجاز القرآن الموجب للإيمان به وبمنزلة من أنزل عليه القرآن وهو محمد ﷺ وذلك أن هذا القرآن الذي أعجز العرب أن يأتوا بسورة مثله قد تألف من مثل هذه الحروف المقطعة فدل ذلك على أنه كلام الله ووحيه.

والثانية أنه لما خاف المشركون من تأثير القرآن على نفوس السامعين له وأمروا باجتناب سماعه واستعملوا وسائل شتى لمنع الناس في مكة من سماعه كانت هذه الحروف تضطرهم إلى السماع لغرابتها عندهم فإذا قرأ القارىء طسم وجد احدهم نفسه مضطراً إلى السماع، فإذا ألقى سمعه نفذ القرآن إلى قلبه فاهتدى به إن شاء الله تعالى له الهداية كما حصل لكثيرين منهم.

وقوله تعالى : ﴿تلك آيات الكتاب﴾ أي هذه آيات الكتاب المبين أي القرآن المبين

للهدى من الضلال والخير من الشر والحق من الباطل، وقوله ﴿نتلوا عليك من[1] نبأ موسى وفرعون بالحق﴾ أي نقرأ قاصين عليك أيها الرسول شيئاً من نبأ موسى وفرعون أي من خبر موسى[2] وفرعون وقوله ﴿لقوم يؤمنون[3]﴾ باعتبارهم أنهم هم الذين ينتفعون بما يسمعون في حياتهم ولأنهم في ظرف صعب يحتاجون معه إلى سماع مثل هذا القصص ليثبتوا على إيمانهم حتى ينصرهم الله كما نصر الذين من قبلهم بعد ضعف كان أشد من ضعفهم وقوله تعالى: ﴿إن فرعون. . ﴾ إلى آخر الآية هذا بيان لما أخبر أنه يقصه للمؤمنين، يخبر تعالى فيقول:

﴿إن فرعون. . . ﴾ إلى آخر الآية إن فرعون الحاكم المصري المسمى بالوليد بن الريان الطاغية المدعى الربوبية والألوهية ﴿علا في الأرض﴾ أي أرض البلاد المصرية ومعنى علا طغى وتكبر وتسلط[4] وقوله ﴿وجعل اهلها﴾ أي أهل تلك البلاد المصرية ﴿شيعاً﴾ أي طوائف فرق بينها إبقاء على ملكه على قاعدة فَرِّقْ تَسُدْ المذهب السياسي القائم الآن في بلاد الكفر والظلم وقوله ﴿يستضعف طائفة﴾ من تلك الطوائف وهي طائفة بني إسرائيل وكيفية استضعافهم أنه يذبح أبناءهم ساعة ولادتهم ﴿ويستحي نساءهم﴾ أي بناتهم ليكبرن للخدمة وتذبيح الأولاد سببه ان كهانه وسياسِييه أعلموه أن ملكه مهدد بوجود بني إسرائيل أقوياء كثر في البلاد فاستعمل طريقة تقليلهم والحد من كثرتهم بذبح الأولاد الذكور منهم وإبقاء الإناث منهم وهي سياسة تشبه تحديد النسل اليوم التي يستعملها الهالكون اليوم وهم لايشعرون.

وقوله ﴿إنه كان من المفسدين﴾ هذا تعليل لعلو فرعون وطغيانه فذكر أن سبب ذلك الذي يرتكبه من السياسة العمياء الظالمة أنه ﴿من المفسدين﴾ أي في الأرض بارتكاب الجرائم العظام التي لاتوصف.

وقوله تعالى ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة﴾ أي ﴿نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون﴾ أي من بعض خبرهما أنا نريد أي أردنا أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض أرض مصر وهم بنو إسرائيل، نَمُنُّ عليهم بإيمانهم وتخليصهم من حكم فرعون وتسلطه ونجعلهم قادةً في الخير ﴿ونجعلهم الوارثين﴾ لحكم البلاد وسياستها بعد إهلاك فرعون وجنوده وهو معنى قوله:

---

(١) مفعول (نتلوا) محذوف تقديره نتلوا عليك كلاماً من نبأ موسى.

(٢) وقارون أيضاً حيث ذكر خبره في آخر هذه السورة.

(٣) اللام في (القوم) للتعليل أي: نتلو عليك لأجل قوم يؤمنون.

(٤) وحسبه أن ادعي الألوهية والربوبية وأنه ابن الشمس.

﴿ونمكن لهم في الأرض[1]﴾. وقوله ﴿ونري[2] فرعون﴾ أي من جملة مانتلو عليك أنا أردنا أن ﴿نري فرعون وهامان وجنودهما[3] منهم﴾ أي من بني إسرائيل ماكانوا يحذرونه من مولود يولد في بني إسرائيل فيذهب بملك فرعون وذلك بما سيذكر تعالى من أسباب وترتيبات هي عجب!

تبتدىء من قوله تعالى ﴿وأوحينا إلى أم موسى..﴾.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ تقرير إعجاز القرآن الذي هو آية أنه كتاب الله حقاً.

٢ ـ تقرير النبوة المحمدية بهذا الوحي الالهي.

٣ ـ التحذير من الظلم والاستطالة على الناس والفساد في الأرض.

٤ ـ المؤمنون هم الذين ينتفعون بما يتلى عليهم لحياة قلوبهم.

٥ ـ تقرير قاعدة لاحذر مع القدر.

٦ ـ تحريم تحديد النسل بإلزام المواطن بان لايزيد على عدد معين من الأطفال.

وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ

(١) المراد من الأرض أرض الشام حيث ورّثهم أرض الكنعانيين وهم الذين كانوا يعرفون بالجبابرة. أما أرض مصر فإن بني اسرائيل لم يرجعوا إليها بعد أن خرجوا منها هكذا يرى بعضهم وأكثر المفسرين أنّ بني اسرائيل عادوا إلى أرض مصر وملكوها وسادوا أهلها، والله أعلم.

(٢) قرأ الجمهور (ونرى) بنون العظمة والتكلم، وقرأ بعضٌ (ويرى) بياء الغيبة أي: ويرى فرعون وجنوده.

(٣) الجنود: جمع جند، والجند لفظ دال على جمع ولا واحد لهُ ومعناه: الجماعة من الناس تجتمع على أمر تتبعه.

أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١١﴾

شرح الكلمات :

وأوحينا إلى أم موسى : أعلمناها أن ترضع ولدها الرضعات الأولى التي لابد منها ثم تضعه في تابوت ثم تلقيه في اليم.

في اليم : أي في البحر وهو نهر النيل.

ولاتخافي ولاتحزني : أي لاتخافي أن يهلك ولا تحزني على فراقه، إنا رادوه إليك.

فالتقطه آل فرعون : أي أعوانه ورجاله.

ليكون لهم عدواً وحزناً : أي في عاقبة الأمر، فاللام للعاقبة والصيرورة.

قرة عين لي ولك : أي تقربه عيني وعينك فنفرح به ونُسَرّ.

وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً : أي من كل شيء إلا منه عليه السلام أي لاتفكر في شيء إلا فيه.

إن كادت لتبدي به : أي قاربت بأن تصرخ أنه ولدها وتظهر ذلك.

وقالت لأخته قصيه : أي اتبعي أثره حتى تعرفي أين هو.

فبصرت به عن جنب : أي لاحظته وهي مختفيه تتبعه من مكان بعيد.

معنى الآيات :

هذه بداية قصة موسى مع فرعون وهو طفل رضيع إلى نهاية هلاك فرعون في ظرف طويل بلغ عشرات السنين. بدأ تعالى بقوله تعالى : ﴿وأوحينا إلى أم موسى﴾[1] أي أعلمناها من طريق الإلقاء في القلب ﴿أن أرضعيه فإذا خفت عليه﴾ آل فرعون الذين يقتلون مواليد بني إسرائيل الذكور في هذه السنة ﴿فألقيه في اليم﴾ أي بعد أن تجعليه في تابوت أي صندوق

---

(١) اختلف هل كان هذا الوحي إلهاماً أو كان مناماً أو أتاها ملك؟ والأقرب أنها أتاها ملك مع الإجماع أنها لم تكن نبيّة وإنما أرسل إليها الملك فكلمها على نحو تكليم الملك للأقرع والأبرص والأعمى في حديث الصحيحين، ولم يعرف لها اسم على الصحيح، وقال السهيلي اسمها يارخت.

خشب مطلي بالقار، ﴿ولا تخافي﴾ عليه الهلاك ﴿ولا تحزني﴾ على فراقك له ﴿إنا رادوه إليك﴾[1] لترضعيه ﴿وجاعلوه من المرسلين﴾ ونرسله إلى عدوكم فرعون وملائه. قال تعالى: ﴿فالتقطه آل فرعون﴾ أي فعلت ما أمرها الله تعالى به بأن جعلته في تابوت وألقته في اليم أي النيل ﴿فالتقطه آل فرعون﴾ حيث وجدوه لقطة فأخذوه وأعطوه لآسية بنت مزاحم عليها السلام امرأة فرعون. وقوله تعالى: ﴿ليكون لهم[2] عدواً وحزناً﴾ هذا باعتبار مايؤول إليه الأمر فهم ما التقطوه لذلك ولكن شاء الله ذلك فكان لهم ﴿عدُواً وحزناً﴾[3] فعاداهم وأحزنهم.

وقوله تعالى: ﴿إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين﴾ أي آثمين بالكفر والظلم ولذا يكون موسى لهم عدواً وحزناً. وقوله تعالى: ﴿وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه﴾ قالت هذا حين هم فرعون بقتله لما نتف موسى لحيته وهو رضيع تعلق به فأخذ شعرات من لحيته فتشاءم فرعون وأمر بقتله فاعتذرت آسية له فقالت هو ﴿قرة عين لي ولك لا تقتلوه﴾ فقال فرعون قرة عين لك أما أنا فلا وقولها «عسىٰ أن ينفعنا» في حياتنا بالخدمة ونحوها «أو نتخذه ولداً» وذلك بالتبني وهذا الذي حصل، فكان موسى إلى الثلاثين من عمره يعرف بإبن فرعون وقوله ﴿وهم لا يشعرون﴾ أي بما سيكون من أمره وأن هلاك فرعون وجنوده سيكون على يده.

وقوله تعالى: ﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً﴾ أي من أي شيء إلا من موسى وذلك بعد أن ألقته في اليم.

وقوله ﴿إن كادت لتبدي به﴾ أي لتصرخ بأنه ولدها وتُظهر ذلك من شدة الحزن لكن الله تعالى ربط على قلبها فصبرت لتكون بذلك من المؤمنين بوعد الله تعالى لها بأن يرده إليها ويجعله من المرسلين.

وقوله تعالى: ﴿وقالت لأخته[4] قصيه﴾ أي تتبعي أثره وذلك عندما ألقته في اليم وقوله

---

(١) حكى الأصمعي أنه سمع جارية اعرابية تنشد وتقول:

استغفر الله لذنبي كله　　قبّلتُ إنساناً بغير حِلّة

مثل الغزال ناعماً في دلِّه　　فانتصف الليل ولم أصله

فقلت لها: قاتلك الله ما أفصحك! فقالت: أو يُعدّ هذا فصاحة مع قوله تعالى: (وأوحينا إلى أم موسى) إلى (إنا رادوه إليك) أي: جمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين.

(٢) هذه اللام تسمى لام العاقبة والصيرورة على حد قول الشاعر:

وللمنايا تُربى كل مرضعة　　ودورنا لخراب الدهر نبنيها

(٣) الْحَزَن: محرّك الوسط كالحزن بإسكانها وضم الحاء مثل الرَّشَد والرُّشْد والعَدَم والعُدْم والسَقَم والسُقْم لغات.

(٤) اسمها مريم بنت عمران فاتحدت معها مريم أم عيسى في اسمها واسم أبيها عليهم السلام وقيل اسمها كندم في رواية مرفوعة ضعيفة.

﴿فبصرت به عن جنب﴾[1] أي رأته من بُعد فكانت تمشي على شاطىء النهر وتلاحقه النظر من بعد حتى رأته انتهى إلى فرع الماء الذى دخل إلى قصر فرعون فعلمت أنه قد دخل القصر. وقوله تعالى: ﴿وهم لا يشعرون﴾ أي لا يشعرون أنها أخته لما كانت تلاحقه النظر وتتعرف إليه من بعد.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ بيان تدبير الله تعالى لأولياء وصالحي عباده وتجلى ذلك فى الوحي إلى أم موسى بارضاعه وإلقائه في البحر والتقاط آل فرعون له ليتربى في بيت الملك عزيزاً مكرماً.

٢ ـ بيان سوء الخطيئة وآثارها السيئة وعواقبها المدمرة وتجلى ذلك فيما حل بفرعون وهامان وجنودهما.

٣ ـ فضيلة الرجاء تجلت فى قول آسية «قرة عين لي ولك» فقال فرعون: أمّالي فلا. فكان موسى قرة عين لآسية ولم يكن لفرعون.

٤ ـ بيان عاطفة الأمومة حيث أصبح فؤاد أم موسى فارغاً إلا من موسى.

٥ ـ بيان عناية الله بأوليائه حيث ربط على قلب أم موسى فصبرت ولم تبده لهم وتقول هو ولدي ليمضي وعد الله تعالى كما أخبرها. والحمد لله رب العالمين.

۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ

---

(١) (عن جنب) أي: من مكان جنب أي: جانب وناحية قال قتادة: تنظر إليه بناحية كأنها لا تريده.

فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾

شرح الكلمات :

وحرمنا عليه المراضع	: أي منعناه من قبول ثدى أيَّة مرضعة .
من قبل	: أي من قبل رده إلى أمه .
فقالت هل أدلكم على	: أي قالت أخت موسى .
أهل بيت يكفلونه لكم	: يضمونه إليهم ، يرضعونه ويربونه لكم .
وهم له ناصحون	: أي لموسى ناصحون ، فلما قالوا لها إذاً كنت أنت تعرفينه ، قالت لا ، إنما أعني أنهم ناصحون للملك لا للولد .
فرددناه إلى أمه	: أي رددنا موسى إلى أمه أي قبلوا اقتراح أخته .
ولتعلم أن وعد الله حق	: إذ أوحى إليها أنه راده إليها وجاعله من المرسلين .
ولكن أكثرهم لايعلمون	: أي أكثر الناس لايعلمون وعد الله لأم موسى ولايعلمون أن الفتاة أخته وأن أمها أمه .
ولما بلغ أشده واستوى	: أي ثلاثين سنة من عمره فانتهى شبابه وكمل عقله .
آتيناه حكماً وعلماً	: أي وهبناه الحكمة من القول والعمل والعلم بالدين الإسلامى الذي كان عليه بنو إسرائيل وهذا قبل أن ينبأ ويرسل .
ودخل المدينة	: مدينة فرعون وهي مُنْفُ بعد أن غاب عنها مدة .
على حين غفلة من أهلها	: لأن الوقت كان وقت القيلولة .
هذا من شيعته	: أي على دينه الإسلامى .
وهذا من عدوه	: على دين فرعون والأقباط .
فوكزه موسى فقضى عليه	: أي ضربه بجمع كفه فقضى عليه أيْ قتله
هذا من عمل الشيطان	: أي هذا الفعل من عمل الشيطان لأنه المهيج غضبي .
إنه عدو مضل مبين	: أي الشيطان عدو لابن آدم مضل له عن الهدى ، مبين ظاهر الإضلال .

معنى الآيات :

مازال السياق في قصص موسى مع فرعون : إنه بعد أن التقط آل فرعون موسى من النيل وهو رضيع قدموا له المراضع فرفضهن مرضعة بعد أخرى، فاحْتار آل فرعون لحبهم لموسى لأن الله تعالى ألقى عليه محبة منه فما رآه أحد إلا أحبه وهذا معنى قوله تعالى في الآية (١٢) ﴿وحرمنا عليه المراضع من قبل﴾[١] أي قبل رده إلى أمه. وقوله : ﴿فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون﴾ هذه أخته وقد أمرتها أمها أن تقص آثار موسى وتتبع أخباره فلما علمت أن أخاها لم يقبل المراضع وأن القصر في قلق من جراء عدم رضاع موسى تقدمت وقالت ما أخبر الله تعالى به عنها في قوله : ﴿فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم﴾ ويرضعونه ويحفظونه حتى تنتهي مدة رضاعته ﴿وهم له ناصحون﴾[٢] وهنا ارتابوا في أمرها واستنطقوها واتهموها بأنها تعرفه فقالت : لا أعرفه، إنما عنيت ﴿وهم له ناصحون﴾ أن أهل هذا البيت ناصحون للملك وهنا استجابوا لها فأتت به أمه فما إن رآها حتى رمى نفسه عليها وأخذ ثديها يمتصه فقالو لها : ماسر قبوله هذه المرأة فأجابت: بأنها طيبة الريح طيبة اللبن فأذنوا لها في إرضاعه في بيتها فعادت به وهو معنى قوله تعالى ﴿فرددناه[٣] إلى أمه كي تقر عينها﴾ أي تفرح وتسر ولاتحزن على فراقه، ﴿ولتعلم أن وعد الله حق﴾ إذ وعدها بأنه راده إليها. وقوله تعالى : ﴿ولكن أكثرهم لايعلمون﴾ أي ولكن أكثر الناس لايعلمون أنها أمه ولا أن الله وعدها بأن يرده إليها. وقوله تعالى : ﴿ولما بلغ﴾ أي موسى ﴿أشده﴾[٤] أي اكتمال شبابه وهو ثلاثين سنة. ﴿آتيناه حكمًا وعلمًا﴾ أي حكمة وهي الإصابة في الأمور ﴿وعلمًا﴾ فقهاً في الدين الإسلامي الذي كان عليه بنو إسرائيل. وقوله تعالى ﴿وكذلك نجزي المحسنين﴾ أي كما جزينا[٥] أم موسى وولدها موسى نجزي المحسنين وقوله

---

(١) هذا التحريم ليس التحريم الشرعي وإنما هو بمعنى المنع فقط لعدم تكليف الطفل وشاهده قول امرىء القيس:

جالت لتصرعني فقلت لها اقصري   إني امرؤ صرعي عليك حرام

والمراضع: جمع مرضع بدون تاء إذ ليس في الذكور من يرضع فيفرّق بينهما بالتاء.

(٢) الجملة في محل نصب حالية.

(٣) الفاء للعطف والتفريع، إذ قوله تعالى: (فرددناه إلى أمه) متفرع من قوله (هل ادلكم على أهل بيت) إلى قوله (ناصحون).

(٤) قال مالك وربيعة شيخه: الأشد: الحلم لقوله تعالى: (حتى إذا بلغوا النكاح) وهو أوّل الأشد وأقصاه أربع وثلاثون سنة. واستوى: أي: بلغ أربعين سنة.

(٥) جزاها على استسلامها لأمر ربها وصبرها على فراق ولدها إذ ألقته في اليم وعلى تصديقها بوعد ربها، ومما جزاها به رده ولدها إليها مصحوبــاً بالتحف والطرف وهي آمنة ووهب ولدها الحكمة والعلم والنبوة.

تعالى : ﴿ودخل المدينة﴾ أي موسى دخل مدينة مُنْفُ[1] التي هي مدينة فرعون وكان غائباً فترة. ﴿على حين غفلة من أهلها﴾ لأن الوقت كان وقت القيلولة. ﴿فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته﴾ على دين موسى وبني إسرائيل وهو الإسلام ﴿وهذا من عدوه﴾ لأنه على دين فرعون والأقباط وهو الكفر. ﴿فاستغاثه الذى من شيعته﴾ أي طلب غوثه على الذي من عدوه ﴿فوكزه موسى﴾ أي ضربه بجمع كفه ﴿فقضى عليه﴾ أي فقتله ودفنه في الرمال. وقوله تعالى : ﴿قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين﴾ أي هذا قول موسى عليه السلام اعترف بأن ضربه القبطى كان من تهيج الشيطان لغضبه فقال : ﴿هذا من عمل الشيطان إنه عدو﴾ للانسان ﴿مضل﴾ له عن طريق الخير والهدى ﴿مبين﴾ أي ظاهر العداوة للإنسان والإضلال.

وقوله تعالى : ﴿قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم﴾ أي دعا موسى ربه معترفاً بخطئه أولاً فقال : ﴿رب﴾ أي يارب ﴿إني ظلمت نفسي﴾ أي بقتلي القبطي ﴿فاغفر لي﴾ هذا الخطأ، فاستجاب الله تعالى وغفر له، إنه تعالى هو الغفور لذنوب عباده التائبين له الرحيم بهم فلا يعذبهم بذنب تابوا منه.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ بيان حسن تدبير الله تعالى فى منع موسى من سائر المرضعات حتى يرده إلى أمه.

٢ ـ بيان حسن رد الفتاة على التهمة التي وجهت إليها وذلك من ولاية الله لها وتوفيقه.

٣ ـ تقرير أن وعد الله حق، وأنه تعالى لايخلف الوعد ولا الميعاد.

٤ ـ بيان إنعام الله على موسى بالحكمة والعلم قبل النبوة والرسالة.

٥ ـ مشروعية إغاثة الملهوف ونصرة المظلوم[2].

٦ ـ وجوب التوبة بعد الوقوع في الزلل، وأول التوبة الاعتراف بالذنب.

---

(١) وقيل : منفيس : قاعدة مصر الشمالية، وقوله : (ودخل المدينة) هذا عطف جزء القصة على جزئها السابق وهو من قوله : (وأوحينا إلى أم موسى) وأين كان موسى؟ قطعاً كان غائباً عن المدينة لأمر من الأمور اقتضى غيابه.

(٢) لأن نصر المظلوم دِين في الملل كلّها، وفرض في جميع الشرائع.

قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾

شرح الكلمات :

بما أنعمت علي	: بإنعامك علي بمغفرة ذنبي .
فلن أكون ظهيراً للمجرمين	: أي معيناً لأهل الإجرام .
خائفاً يترقب	: ماذا يحدث من خير أو غيره بعد القتل .
استنصره بالأمس	: أي طلب نصرته فنصره .
يستصرخه	: أي يستغيث به على قبطي آخر .
إنك لغوي مبين	: أي لذو غواية وضلال ظاهر .
أن يبطش بالذي هو عدو لهما	: أي أن يأخذ الذي هو عدو لموسى والقبطي معاً .
إن تريد إلا أن تكون جباراً	: أي ماتريد إلا أن تكون جباراً تضرب وتقتل ولاتبالي بالعواقب .
من المصلحين	: أي الذين يصلحون بين الناس إذا اختلفوا أوتخاصموا .

وجاء رجل من أقصى المدينة	: أي مؤمن آل فرعون أتى من أبعد نواحي المدينه .
إن الملأ يأتمرون بك	: أي يتشاورون ويطلب بعضهم أمر بعض ليقتلوك .
فاخرج إني لك من الناصحين	: أي اخرج من هذه البلاد إلى أخرى .
فخرج منها خائفاً يترقب	: خائف من القتل يترقب مايحدث له .

معنى الآيات :

لقد تقدم في الآية قبل هذه أن موسى عليه السلام قد قتل قبطياً بطريق الخطأ وأنه اعترف لربه تعالى بخطإه واستغفره، وأن الله تعالى غفر له وأعلمه بذلك بما شاء من[1] وسائط، ولما علم موسى بمغفرة الله تعالى له عاهده بأن لايكون ﴿ظهيراً للمجرمين﴾ مستقبلاً ومن ذلك أن يعتزل فرعون وملائه لأنهم ظالمون مجرمون فقال :

﴿رب بما أنعمت علي﴾ أي بمغفرتك لي خطإي[2] وذلك بالنظر إلى إنعامك علي بالمغفرة أعاهدك أن لا أكون ﴿ظهيراً للمجرمين[3]﴾ هذا مادلت عليه الآية (١٧) أي الأولى في هذا السياق وهي قوله تعالى : ﴿قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين﴾ وقوله تعالى : ﴿فأصبح في المدينة خائفاً يترقب﴾ أي فأصبح موسى في مدينة (مُنْفُ) عاصمة المملكة الفرعونية «خائفاً» مما قد يترتب على قتله القبطي «يترقب» الأحداث ماذا تسفر عنه؟ فإذا ألذي يستنصره بالأمس وهو الإسرائيلي الذي طلب نصرته أمس ﴿يستصرخه﴾ أي يستغيثه بأعلى صوته فنظر إليه موسى وأقبل عليه ليخلصه قائلاً : ﴿إنك لغوي مبين﴾ أي لذو غواية بينة والغواية الفساد في الخلق والدين لأنك أمس قاتلت واليوم تقاتل أيضاً. ﴿فلما أن أراد أن يبطش﴾ أي موسى ﴿بالذي هو عدو لهما﴾ وهو القبطي قال الإسرائيلي ﴿أتريد

---

(١) يرى بعضهم أن موسى لم يعلم بمغفرة الله تعالى له لأنه لم يكن قد نُبِّيء بعد وجعل جملة (فغفر له) معترضة وقوله: (بما أنعمت عليّ) بالهداية والحكمة والعلم لا بالمغفرة لأنه لم يعلم بها. وما في التفسير اظهر واولى بالسياق.

(٢) إنّ قتل موسى للقبطي كان قطعاً خطأ، روى مسلم عن سالم بن عبدالله أنه قال: يا أهل العراق ما أسألكم عن الصغيرة واركبكم للكبيرة لما سمعت أبي عبد الله بن عمر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الفتنة تجيء من ها هنا و أومأ بيده نحو المشرق ـ من حيث يطلع قرنا الشيطان وأنتم بعضكم يضرب رقاب بعض، وإنما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ فقال الله عز وجل: (وقتلت نفساً فنجيناك من الغم وفتناك فتونا).

(٣) قال ابن عباس: لم يستثن فابتلى من ثاني يوم. هذا إن قلنا: إن كلامه كان خبراً لادُعاءً إذ الدعاء لا يجوز الاستثناء فيه لا يقال: ارحمني إن شئت.

أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض﴾ أي تضرب وتقتل كما تشاء ولاتخاف عقوبة ذلك ﴿وماتريد أن تكون من المصلحين﴾ الذين يصلحون بين المتخاصمين قال الإسرائيلي هذا لأنه جبان وخاف من هجمة موسى ظاناً أنه يريده هو لما قدم له من القول ﴿إنك لغوي مبين﴾ فلما سمع القبطي ماقال مقاتله الإسرائيلي نقلها إلى القصر وكان من عماله فاجتمع رجال القصر برئاسة فرعون يتداولون القضية وينظرون إلى ظروفها ونتائجها ومايترتب عليها وكان من جملة رجال المؤتمر مؤمن آل فرعون (حزقيل)[1] وكان مؤمناً يكتم إيمانه فأتى موسى سراً ليخبره بما يتم حياله وينصح له بالخروج من البلاد وهو ماجاء في قوله تعالى في الآية (٢٠) من هذا السياق ﴿وجاء رجل من أقصا المدينة﴾ من أبعدها فان قصر الملك كان في طرف المدينة وهي مدينة فرعون (مُنْفُ) ﴿يسعى﴾ فمشي بسرعة وجد وانتهى إلى موسى فقال ﴿ياموسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين﴾ قال تعالى : ﴿فخرج منها﴾ أي من بلاد فرعون ﴿خائفاً يترقب﴾ خائفاً من القتل يترقب الطلب وماذا سيحدث له من نجاة أو خلافه ودعا ربه عز وجل قائلا :

﴿رب نجني من القوم الظالمين﴾ أي من فرعون وملائه أولاً ومن كل ظالم ثانياً.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ شكر النعم، فموسى لما غفر الله تعالى له شكره بأن تعهد له أن لايقف إلى جنب مجرم[2] أبداً.

٢ ـ سوء صحبة الأحمق الغوى فإن الإسرائيلي لغوايته وحمقه هو الذي سبب متاعب موسى.

٣ ـ لزوم إبلاغ الدولة عن أهل الفساد والشر في البلاد لحمايتها.

٤ ـ وجوب النصح وبذل النصيحة فمؤمن آل فرعون يعلم سلامة موسى من العيب ومن الجريمة فتعين له أن ينصح موسى بمغادرة البلاد لينجو إن شاء الله وليس هذا من باب خيانة البلاد والدولة، لأن موسى من أهل الكمال وماحدث عنه كان من باب الخطأ فرفده ومد إليه اليد إنقاذاً من موت متعين.

---

(١) وقيل: اسمه شمعان، وقال الدارقطني: لا يعرف شمعان بالشين إلا مؤمن آل فرعون، قال الثعلبي: كان ابن عم فرعون.

(٢) روي عن عطاء، قيل له: إنّ أخاً لي يأخذ بقلمه وإنما يحسب ما يدخل وما يخرج وله عيال ولو ترك ذلك لاحتاج وأدّان فقال: من الرأس؟ قال: خالد بن عبدالله القسري: قال: أما تقرأ ما قال العبد الصّالح: (ربِّ بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين) وقال عطاء: فلا يحل لأحد أن يعين ظالماً ولا يكتب له ولا يصحبه، وإنه إن فعل شيئاً من ذلك فقد صار معيناً للظالمين، وفي الحديث: (ينادي منادٍ يوم القيامة: أين الظلمة وأشباه الظلمة وأعوان الظلمة حتى من لاق لهم دواة أو برى لهم قلماً فيجمعون في تابوت من حديد فيرمى بهم في جهنم) لا ق الدواة: أصلحها.

٥ ـ الخوف الطبيعي لا يلام عليه فموسى عليه السلام قد خاف[1] خوفاً أدى به إلى الالتجاء إلى ربه بالدعاء فدعاه واستجاب له ولله الحمد والمنة.

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا

شرح الكلمات :

ولما توجه تلقاء مدين : أقبل بوجهه جهة مدين التي هي مدينة شعيب.

عسى ربي أن يهديني سواء السبيل : أرجو ربي أن يهدني وسط الطريق حتى لا أضل فأهلك فاستجاب الله له وهداه إلى سواء السبيل ووصل مدين.

ولما ورد ماء مدين : انتهى إلى بئر يسقى منها أهل مدين.

يسقون : أي مواشيهم من بقر وابل وغنم.

تذودان : أي أغنامهما منعاً لهما من الماء حتى تخلو الساحة لهما خوف الاختلاط بالرجال الأجانب لغير ضرورة.

قال ماخطبكما : قال موسى للمرأتين اللتين تذودان ماخطبكما أي ماشأنكما.

(١) من قوله: (فأصبح في المدينة خائفاً يترقب).

حتى يصدر الرعاء	: لانسقي ماشيتنا حتى يصدر الرعاء ويبقى لنا الماء وحدنا.
ثم تولى إلى الظل	: أي بعـد أن سقى لهما رجع إلى ظل الشجرة التي كان جالساً تحتها.
لما أنزلت إلي من خير فقير	: أي من طعام[١] محتاج إليه لشدة جوعه عليه السلام.
تمشي على استحياء	: أي واضعة كم درعها على وجهها حياء منه.

معنى الآيات :

مازال لسياق فى شأن موسى عليه السلام بعد حادثة القتل والنصح له بمغادرة بلاد مصر إلى بلاد[٢] مدين مدينة شعيب عليه السلام قال تعالى مخبراً عنه : ﴿ولما توجه تلقاء مدين﴾ أي ولما توجـه موسى عمـلاً بنصيحـة مؤمن آل فرعـون تلقاء مدين أي نحوها وجهتها ولم يكن له علم بالطريق الصحراوي والمسافة مسيرة ثمانية أيام قال : ﴿عسى أن يهدني ربي[٣] سواء السبيل﴾ أي ترجَّى ربه سبحانه وتعالى أن يهديه الطريق السوي حتى لا يضل فيهلك، واستجاب الله له فهـداه الـطريق حتى وصـل إلى بلاد مدين وقوله تعالى في الآية الثانية من هذا السياق (٢٣) ﴿ولماورد ماء مدين﴾ أي وحين ورد[٤] ماء مدين وهوبئر يسقي منها الناس مواشيهم ﴿وجد عليه﴾ أي على الماء ﴿أمة من الناس﴾ أي جماعة كبيرة يسقون أنعامهم ومواشيهم ﴿ووجد من دونهم امرأتين﴾ وهما بنتا شعيب عليه السلام ﴿تذودان﴾ أي تمنعان ماشيتهمامن الاختلاط بمواشي النـاس. فسـألهما لاتطفلاً وإنما حالهما دعاه إلى سؤالهما لأنه رأى الناس يسقون مواشيهما ويصدرون فوجاًبعد فوج والمرأتان قائمتان على ماشيتهماتذودانها عن الحوض حتى لاتختلط ولاتشـرب فسألهما لذلك قائلاً : ﴿ماخطبكما﴾ أي ماشأنكما فأجابتاه قائلتين : ﴿لانسقي حتى يصـدر الرعاء﴾ لضعفنا وعدم رغبتنا في الاختلاط بالرجال ﴿وأبونا شيخ كبير﴾ لايقوي على سقي هذه الماشية بنفسه فنحن نسقيها ولكن بعد أن يصدر الرعاء ويبقى في الحوض ماء

(١) من طعام تفسير لقوله من خير، ومحتاج تفسير لقوله : (فقير).

(٢) لأنّ بها العبد الصالح شعيب، وقيل : لأجل النسب الذي بينه وبينهم لأن مدين من ولد ابراهيم، وموسى من ولد يعقوب بن اسحق بن ابراهيم.

(٣) روي أن الله تعالى بعث إليه ملكاً راكباً فرسا فقال : اتبعني فاتبعه فهداه إلى الطريق وكان ملك مدين لغير فرعون.

(٤) أي : بلغها ووصل إليها ومنه قول زهير :

فلما وردن الماء زرقاً جمامه   وضعن عصي الحاضر المتخيّم

نسقي به ، فلما علم عذرهما سقى لهما ماشيتهما ﴿ثم تولى إلى الظل﴾ الذي كان جالساً تحته وهو ظل شجرة وهو شجر صحراوي معروف يقال له السمر ، ولما تولى إلى الظل سأل ربه الطعام لشدة جوعه إذ خرج من مصر بلا زاد ولا دليل ولولا حسن[1] ظنه في ربه لما خرج هذا الخروج فقال : ﴿رب إني لما أنزلت إلي من خير﴾ أي[2] طعام ﴿فقير﴾ أي محتاج إليه أشد الاحتياج . وفي أقرب ساعة وصلت البنتان إلى والدهما فسألهما عن سبب عودتهما بسرعة فأخبرتاه ، فقال لإحداهما إذهبي إليه وقولي له ﴿إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ماسقيت لنا﴾ وهو معنى قوله تعالى ﴿فجاءته إحداهما﴾ استجابة الله له ﴿تمشي على استحياء﴾ واضعة كم درعها على وجهها حياء . وقد قال فيها عمر رضي الله عنه إنها ليست سلفعاً[3] من النساء خرّاجة ولاّجة ، وبلغت الرسالة المختصرة وكأنها برقيه ونصها ما أخبر تعالى به فى قوله : ﴿إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ماسقيت لنا﴾ ! ! وقد ورد أنها لما كانت تمشي أمامه تدله على الطريق هبت الريح فكشفت ساقيها قال لها موسى : إمشي ورائي ودليني على الطريق بحصى ترميها نحو الطريق وهذا الذي دلها على أمانته لما وصفته لأبيها بأنه ﴿قوي أمين﴾ كما سيأتي فيما بعد .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ وجوب حسن الظن بالله تعالى وقوة الرجاء فيه عز وجل والتوكل عليه

٢ ـ بيان فضل الحياء وشرف المؤمنات اللائي يتعففن عن الاختلاط بالرجال .

٣ ـ بيان مروءة موسى فى سقيه للمرأتين .

٤ ـ فضل الدعاء وسؤال الله تعالى ما العبد في حاجة إليه .

٥ ـ ستر الوجه عن الأجانب سنة المؤمنات من عهد قديم وليس كما يقول المبطلون هو عادة جاهلية ، فبنتا شعيب نشأتا فى دار النبوة والطهر والعفاف وغطت إحداهما وجهها عن موسى حياءً وتقوىٰ .

فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا

---

(١) وتوكله على ربه عز وجل.

(٢) لفظ الخير يطلق عدة إطلاقات فقد أطلق على الطعام كما هنا وأطلق على العبادة كما في قوله : (فعل الخيرات) وعلى القوة في قوله : (أهُم خير أم قوم تُبّع) وعلى المال في قوله : (وإنه لحبّ الخير لشديد).

(٣) السلفع من النساء : الجريئة على الرجال.

يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

شرح الكلمات :

وقص عليه القصص : أخبره بشأنه كله من قتله القبطي وطلب السلطة له ونصح المؤمن له بمغادرة البلاد ووصوله إلى ماء مدين .

لاتخف نجوت من القوم الظالمين : أي من فرعون وملئه إذ لاسلطان لهم على بلاد مدين .

يا أبت استأجره : أي اتخذه أجيراً يرعى لنا الغنم بدلنا .

القوي الأمين : ذكرت له كفاءته وهي القوة البدنية والأمانة .

على أن تأجرني : أي تكون أجيراً لي في رعي غنمي .

ثماني حجج : أي ثماني سنوات إذ الحجة عام والجمع حجج .

فإن أتممت عشراً فمن عندك : أي جعلت الثمانية عشراً فرغبت عشراً فهذا من كرمك .

قال ستجدني إن شاء الله من الصالحين : أي الذين يوفون ولاينقضون ولاينقصون .

ذلك بيني وبينك : أنا أفي بشرطي وأنت تفي بشرطك .

أيما الأجلين قضيت : أي الأجلين الثمانية أو العشرة أتممت .

فلا عدوان على : وذلك بطلب الزيادة فوق الثمانية أو فوق العشرة .

والله على مانقول وكيل	: أي وكيل وحفيظ أي أشهد الله على العقد بشطريه أي النكاح ورعي الغنم وبذلك تم العقد.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في ما تم بين موسى وابنتي شعيب من السقي لهما ومجيء إحداهما تبلغه رسالة والدها ومشيه معها وقوله تعالى ﴿فلما جاءه﴾ أي جاء موسى شعيباً ﴿وقص عليه القصص[١]﴾ أي أخبره بشأنه كله من قتله القبطي خطأ وطلب السلطات له ونصح مؤمن آل فرعون له بالخروج من البلاد، ووصوله إلى ماء مدين قال له شعيب عندئذ ﴿لاتخف نجوت من القوم الظالمين﴾ يعني فرعون وحكومته وهذا مايعرف الآن باللجوء السياسى فأمنه على نفسه لأن فرعون لا سلطان له على[٢] هذه البلاد.

وقال له شعيب: اجلس تعش معنا فقال موسى أخاف أن يكون عوضاً عما سقيت لابنتيك ماشيتهما وإني لمن أهل بيت لايطلبون على عمل الخير عوضاً فقال له شعيب لا ليس هذا بأجر على سقيك وإنما عادتنا أن نقري الضيف ونطعم الطعام فأكل ولم ير بذلك بأساً. وقوله تعالى ﴿قالت إحداهما ياأبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾ يروى أنها لما قالت ﴿إن خير[٣] من استأجرت القوي الأمين[٤]﴾ أثارت حفيظته بهذه الكلمة فسألها: كيف علمت ذلك فذكرت له عن القوة فى سقيه لهما وعن الأمانة في غض بصره عن النظر إليها، فصدقها شعيب وقال لموسى : ﴿إني أريد أن أنكحك﴾ أي أزوجك ﴿إحدى ابنتي هاتين[٥]﴾ ﴿على أن تأجرني ثماني[٦] حجج﴾ أي سنين جمع حجة وهي[٧] السَّنَة وقوله ﴿فإن أتممت عشراً فمن عندك﴾ أي احساناً منك وكرماً، ﴿وما أريد أن أشق عليك﴾ بطلب العشرة

---

(١) التعريف في : (القصص) عوضاً عن المضاف إليه أو هي للعهد أي : القصص المذكور آنفاً.

(٢) إذا السلطان للكنعانيين وهم أهل بأس وشدة ونجدة.

(٣) الجملة تعليلية لجملة الإشارة عليه بالاستئجار.

(٤) قال بعض أهل العلم : وصفته بالقوة لأنه زاحم الرعاء وغلبهم وهم يزدحمون على الماء حتى سقى، وقيل : كانت على البئر صخرة لا يرفعها إلاّ العدد من الناس فرفعها موسى وحده.

(٥) الإشارة إلى المرأتين اللتين سقى لهما سواء كانتا حاضرتين في المجلس أو في ذهن موسى.

(٦) هذا جمع عقد النكاح مع عقد الإجارة. والمشهور عند الفقهاء أنّ الشرط المقارن لعقد النكاح إن كان مما ينافي عقد النكاح فهو باطل ويفسخ النكاح قبل البناء ويثبت بعده ويلغى الشرط المنافي للنكاح، وأما الشرط غير المنافي للنكاح فهو جائز ولا حرج فيه لقوله ﷺ في الصحيح : (أحق الشروط أن يوفى به ما استحللتم به الفروج).

(٧) مشتقة من اسم الحج، لأن الحج يقع كل سنة، وموسم الحج يقع في آخر شهر من السنة.

﴿ستجدني إن شاء الله من الصالحين﴾ أي الذين يوفون بعهودهم فقال موسى رداً على كلامه ﴿ذلك بيني وبينك﴾ أنا عليَّ أن أفي بما اشترطت عليَّ وأنت عليك أن تفي بما اشترطت لي على نفسك ﴿أيما الأجلين﴾[1] الثمانية أو العشرة ﴿قضيت﴾ أي وفيت وأديت ﴿فلا عدوان عليّ﴾ أي بطلب الزيادة على الثمانية ولا على العشرة. فقال شعيب : نعم ﴿والله على مانقول وكيل﴾ فأشهد الله تعالى على صحة[2] العقد وبذلك أصبح موسى زوجاً لابنة شعيب التي عيّنها له والغالب أنها الكبرى التي شهدت له بالأمانة والقوة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ تجلي كرم شعيب ومروءته وشهامته في تطمين موسى وإكرامه وإيوائه.

٢ ـ بيان أن الكفاءة شرط في العمل ولا أفضل من القوة وهي القدرة البدنية والعلمية والأمانة.

٣ ـ مشروعية عرض الرجل ابنته على من يرى صدقه وأمانته ليزوجه بها.

٤ ـ مشروعية إشهاد الله تعالى على العقود بمثل ﴿والله على مانقول وكيل﴾.

٥ ـ فضيلة موسى عليه السلام بإيجار نفسه على شبع بطنه وإحصان فرجه.

۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا

---

(١) (أيما) أي : اسم موصول مبهم : وهو منصوب بـ (قضيت) وزيدت بعده (ما) لتأكيد الكلام، ولتصير أيّ شبيهة باسم الشرط ولذا أجيب بجملة (فلا عدوان علي) وهي مقرونة بالفاء.

(٢) اكتفى شعيب وموسى بإشهاد الله تعالى فهل يصح في الإسلام النكاح بدون إشهاد؟ الجمهور على عدم صحته بل لابد من الإشهاد عليه وهو كذلك.

جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْأَمِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾

شرح الكلمات :

قضى موسى الأجل : أتم المدة المتفق عليها وهي ثمان أو عشر سنوات.

آنس : أبصر.

أوجذوة من النار : عود غليظ في رأسه نار.

لعلكم تصطلون : أي تَسْتَدْفِئون.

نودي : أي ناداه الله تعالى بقوله ياموسى إني أنا الله رب العالمين.

في البقعة المباركة : قطعة الأرض التي عليها الشجرة الكائنة بشاطىء الوادي.

تهتز كأنها جانٌّ : تضطرب وتتحرك بسرعة كأنها حية من حيات البيوت.

ولىٰ مدبراً ولم يعقب : رجع هارباً ولم يعقب لخوفه وفزعه منها.

اسلك يدك في جيبك : أدخلها في جيب قميصك.

من غير سوء : أي عيب كبرص ونحوه.

واضمم إليك جناحك من الرهب : اضمم إليك يدك بأن تضعها على صدرك ليذهب روعك.

فذانك برهانان : أي آيتان من ربك على صدق رسالتك.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في قصص موسى وهو في طريقه بتدبير الله تعالى إلى مصر، إنه لما

قضى الأجل الذي تعاقد عليه مع صهره شعيب وقد أتم خير الأجلين وأوفاهما وهو العشر حجج قفل[1] ماشياً بأهله زوجته وولده في طريقه إلى مصر لزيارة والدته وإخوته حدث أن ضل الطريق ليلاً، وكان الفصل شتاء والبرد شديد فإذا به يأنس ﴿من جانب الطور﴾ أي جبل الطور ﴿ناراً﴾ فقال لأهله امكثوا هنا ﴿إني آنست﴾ أي أبصرت ﴿ناراً﴾ سأذهب إليها ﴿لعلي آتيكم منها بخبر﴾ إذ قد أجد عندها من يدلنا على الطريق أو آتيكم بجذوة[2] من النار أي خشبة في رأسها نار مشتعلة ﴿لعلكم تصطلون﴾ أي من أجل اصطلائكم بها أي استدفائكم بها، هذا مادلت عليه الآية (٢٩) وقوله تعالى في الآية الثانية ﴿فلما أتاها﴾ أي أتى النار ﴿نودي﴾ أي ناداه منادٍ ﴿من[3] شاطىء الواد الأيمن[4] في البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى﴾ أي ناداه ربه ﴿ياموسى إني أنا الله رب العالمين﴾ ﴿وأن ألق عصاك﴾ فألقاها فاهتزت واضطربت وتحركت بسرعة ﴿كأنها جان﴾ أي حية عظيمة من الحيات المعروفة بالجَنّان ﴿ولى مدبراً ولم يعقب﴾ أي فزع منها فرجع من الفزع إلى الوراء ﴿ولم يعقب﴾ أي ولم يرجع إليها من الرعب، فقال له ربه تعالى ﴿أقبل﴾ أي على العصا ﴿ولا تخف إنك من الآمنين﴾ أي الذين آمنهم ربهم فلا يخافون شيئاً.

وقال له بعد أن رجع ﴿اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء﴾ أي أدخل يدك في جيب قميصك وهو الشق الذي يدخل معه الرأس في الثوب ليلبس وقوله ﴿تخرج﴾ أي اليد ﴿بيضاء﴾ كالنور ﴿من غير سوء﴾ أي برص أو نحوه ﴿واضمم إليك جناحك﴾ أي يدك مع العضد إلى صدرك ﴿من الرهب[5]﴾ أي الخوف فإن يذهب عنك بحيث تعود يدك عادية لانور فيها كما كانت من قبل إدخالها في جيبك أولاً.

ثم قال تعالى له ﴿فذانك[6]﴾ أي العصا واليد البيضاء. ﴿برهانان من ربك﴾ أي آيتان

---

(١) يقال: قفل راجعاً أي: من سفره إلى أهله: والقافلة: الجماعة العائدة من السفر: ويقال لها القافلة وهي في بدء سفرها تفاؤلا بالعودة السليمة لها وموسى عليه السلام قفل عائدا من رحلته إلى بلاده.

(٢) الجذوة مثلثة الجيم ضماً وفتحاً وكسراً: الجمرة الملتهبة، والجمع جُذاً مثلثة الجيم أيضاً.

(٣) (من) ابتدائية وكذا من الشجرة إذ من الشجرة بدل اشتمال من قوله (من شاطيء الوادي) وشاطيء الوادي وشطه جانبه، والجمع: شطآن وشواطيء.

(٤) (الأيمن) أي: عن يمين موسى، والبقعة والجمع بقع: المكان من الأرض وإن فتحت باؤها جمعت على بقاع كجفنة وجفان وأمّا بالضم فهي كغرفة وغرف، و (من الشجرة) أي: من ناحيتها، وهل الشجرة من سمر أو عليق: (عوسج) الله أعلم.

(٥) قرأ الجمهور: (الرهب) بفتح الراء والهاء وقرأ بعضٌ بضم الراء وسكون الهاء: (الرُهْب) وقرأ عاصم بفتح الراء وسكون الهاء (الرَهب).

(٦) (فذانك) بتخفيف النون لغة قريش وبتشديدها مع مدها وتخفيفها مع مدها (فذانيك) لغة هذيل.

تدلان على رسالتك المرسل بها إلى فرعون وملئه إنهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن طاعة الله حيث كفروا به وعبدوا غيره وظلموا عباده، لتدعوهم إلى الايمان بالله وعبادته وإرسال بني إسرائيل معك لتذهب بهم إلى أرض المعاد أي فلسطين وماحولها من أرض الشام.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ الأنبياء أوفياء فموسى قضى أوفى الأجلين وأتمهما وهو العشر.

٢ ـ مشروعية السفر بالأهل وقد يحصل للمرء أنه يضل الطريق أو يحتاج إلى شيء ويصبر.

٣ ـ فضل تلك البقعة التي كلم الله تعالى فيها موسى عليه السلام وهي من جبل الطور.

٤ ـ مشروعية حمل العصا لاسيما للمسافر وراعي ماشية أو سائقها.

٥ ـ مشروعية التدريب على السلاح قبل استعماله.

٦ ـ لايلام على الخوف الطبيعي.

٧ ـ آية العصا واليد.

٨ ـ من خاف، وضع يده على صدره زال خوفه إن شاء الله تعالى.

٩ ـ التنديد بالفسق وأهله.

قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ

مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾

شرح الكلمات :

إني قتلت منهم نفساً	: أي نفس القبطي الذي قتله خطأ قبل هجرته من مصر.
أنصح مني لساناً	: أي أبين مني قولاً.
ردءاً	: أي معيناً لي.
سنشد عضدك بأخيك	: أي ندعمك به ونقويك بأخيك هارون.
ونجعل لكما سلطاناً	: أي حجة قوية يكون لكما بها الغَلَبُ.
فلا يصلون إليكم	: أي بسوء.
بآياتنا	: أي اذهبا بآياتنا.
فلما جاءهم موسى بآياتنا	: أي العصا واليد وغيرهما من الآيات التسع.
بينات	: أي واضحات.
سحر مفترى	: أي مختلق مكذوب.
عاقبة الدار	: أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة.
إنه لايفلح الظالمون	: أي المشركون الكافرون.

معنى الآيات :

لما كلف الله تعالى موسى بالذهاب إلى فرعون وحمله رسالته إليه قال موسى كالمشترط لنفسه ﴿رب إني قتلت منهم نفساً﴾ يريد نفس القبطي الذي قتله خطأ أيام كان شاباً بمصر ﴿فأخاف أن يقتلون﴾ أي يقتلوني به إن لم أبين لهم وأفهمهم حجتي ﴿وأخي هارون هو أفصح مني لساناً﴾ أي أبين مني قولاً وأكثر إفهاماً لفرعون وملئه ﴿فأرسله معي ردءاً[1]﴾ أي عوناً ﴿يصدقني[2]﴾ أي يلخص قولي ويحرره لهم فيكون ذلك تصديقاً منه لي، لا لمجرد أني إذا قلت قال صدق موسى. وقوله ﴿إني أخاف أن يكذبون﴾ فيما جئتهم به. فأجابه الرب تعالى قائلاً ﴿سنشد عضدك

---

(١) قرأ نافع (رداً) منون غير مهموز. وقرأ حفص (ردءاً) مهموزاً.

(٢) قرأ نافع (يصدقني) بالجزم لأنه في جواب الطلب الذي هو: (فأرسله معي) وقرأ حفص بالرفع (يصدقني) على أن الجملة حال من الهاء في (أرسله).

بأخيك﴾ أي نقويك به ونعينك ﴿ونجعل لكما سلطاناً﴾ أي برهاناً وحجة قوية يكون لكما الغلب بذلك. وقوله ﴿فلا يصلون إليكما﴾ أي بسوء أبداً وقوله ﴿بآياتنا﴾[1] أي اذهبا بآياتنا أو يكون لفظ بآياتنا متصلاً بسلطاناً أي سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً بآياتنا ﴿أنتما ومن اتبعكما الغالبون﴾ وعلى هذا فلا نحتاج إلى تقدير فاذهبا وقوله تعالى ﴿فلما جاءهم موسى بآياتنا﴾ العصا واليد وغيرهما ﴿بينات﴾ أي واضحات ﴿قالوا ماهذا﴾ أي الذي جاء به موسى من الآيات ﴿إلا سحر مفترى﴾[2] أي مكذوب مختلق ﴿وما سمعنا بهذا﴾ أي الذي جئت به ياموسى في ﴿آبائنا الأولين﴾ أي في أيامهم وعلى عهدهم. وهنا رد موسى على فرعون بأحسن رد وهو ما أخبر تعالى به عنه بقوله: ﴿وقال موسى[3] ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده﴾ أي من عند الرب تعالى ﴿ومن تكون له عاقبة الدار﴾ أي العاقبة المحمودة يوم القيامة.[4] ولم يقل له اسكت ياضال ياكافر إنك من أهل النار بل تلطف معه غاية اللطف امتثالا لأمر الله تعالى في قوله ﴿وقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى﴾ وقوله ﴿إنه لايفلح الظالمون﴾ أي الكافرون والمشركون بربهم هذا من جملة قول موسى لفرعون الذي تلطف فيه وألانه غاية اللين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ بيان أن القصاص كان معروفاً معمولاً به عند أقدم الأمم، وجاءت الحضارة الغربية فأنكرته فتجرأ الناس على سفك الدماء وإزهاق الأرواح بصورة لم يسبق لها مثيل في تاريخ البشرية ولذلك صح أن تسمىٰ الخسارة البشرية بدل الحضارة الغربية.

٢ ـ مشروعية طلب العون عند التكليف بما يشق ويصعب من المسؤولين المكلفين.

٣ ـ مشروعية التلطف في خطاب الجبابرة وإلانة القول لهم، بل هو مشروع مع كل من يدعى إلى الحق من أجل أن يتفهم القول ولا يُغلقْ عليه بالإغلاظ له.

---

(١) قوله تعالى: (بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون) يجوز أن يكون (بآياتنا) متعلقاً بمحذوف تقديره: اذهبا بآياتنا. ويجوز أن يتعلق بنجعل لكما سلطاناً بآياتنا فتكون رهبتهم منكما آية ويجوز أن يتعلق بـ (لايصلون إليكما) أي: يصرفون عنكما صرفا بسبب آياتنا كقول الرسول ﷺ: (نصرت بالرعب مسيرة شهر) ويجوز تعليقها أيضاً بـ(الغالبون) أي: بآياتنا.

(٢) هذا شأن المحجوج المغلوب إذا أعيته الحجة يفزع إلى التلفيق والاتهامات الباطلة دفعاً للمعرة.

(٣) كان مقتضى الكلام في سياق الحوار أن يقال: قال موسى بدون واو العطف إلاّ أنه خولف هنا وأتى بالواو: (وقال موسى) وهي قراءة الجمهور والمقصود منها هو ذكر التوازن بين حجة فرعون وحجة موسى ليظهر للسامع التفاوت بينهما بخلاف لو حذفت الواو كما قرأ ابن كثير فإنها مجرد حكاية قول موسى عليه السلام فليس فيها ما يلفت النظر.

(٤) (عاقبة الدار) قد يفهم منها فرعون: ما ينتهي إليه الخصام مع موسى إذا كان لا يؤمن بالمعاد وإن كان يؤمن بالمعاد فالأمر واضح.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾

شرح الكلمات

ماعلمت لكم من إله غيري : أي ربا يطاع ويذل له ويعظم غيري لعنة الله عليه ماأكذبه.

ياهامان : أحد وزراء فرعون، لعله وزير الصناعة أو العمل والعمال

فأوقد لي ياهامان على الطين : أي اطبخ لي الآجُرْ وهو اللبن المشوي.

فاجعل لي صرحاً : أي بناء عالياً، قصراً أو غيره.

لعلي أطلع إلى إله موسى : أي أقف عليه وأنظر إليه.

وإني لأظنه من الكاذبين	: أي موسى في ادعائه أن له إلهاً غيري .
فنبذناهم في اليم	: أي طرحناهم في البحر غرقى هالكين .
وجعلناهم أئمة	: أي رؤساء يُقتدى بهم في الباطل .
يدعون إلى النار	: أي إلى الكفر والشرك والمعاصي الموجبة للنار .
في هذه الدنيا لعنة	: أي خزياً وبعداً عن الخير .
هم من المقبوحين	: أي المبعدين من كل خير المشوَّهي الخلقة .
القرون الأولى	: قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وغيرهم .
بصائر للناس	: أي فيه من النور مايهدي كما تهدي الأبصار .

معنى الآيات :

قولـه تعالى : ﴿وقال فرعون﴾ إن فرعون لما سمع كلام موسى عليه السلام المصدق بكلام هارون عليه السلام وكان الكلام في غاية اللين ، مؤثراً خاف فرعون من الهزيمة ، ناور وراوغ فقال في الحاضرين ﴿ماعلمت لكم من إله غيري﴾[1] أي كما ادعى موسى ولكن سأبحث وأتعرف على الحقيقة إن كان هناك إله آخر غيري ، فنادى وزيره هامان وأمره أن يعد اللبن المشوي لأنه قوي ويقوم ببناء صرح عال يصل إلى عنان السماء ليبحث بنفسه عن إله موسى إن كان حسب دعواه وإني لأظن موسى كاذباً في دعوى وجود إله له ولكم غيري هذا معنى قوله تعالى في الآية الأولى (٣٨) ﴿وقال فرعون يا أيها الملأ ماعلمت لكم من إله غيري فأوقد لي[2] ياهامان على الطين فاجعل لي صرحاً لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين﴾[3]. يعنى في إدعائه أن هناك إلهاً آخر غيري .

قوله تعالى : ﴿واستكبر هو وجنوده في الأرض﴾ أي أرض مصر ﴿بغير الحق﴾[4] الذي يحق

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما : كان بين قوله : ماعلمت لكم من إله غيري وبين قوله أنا ربكم الأعلى أربعون سنة ، وكذب عدو الله بل علم أن له رباً هو خالقه وخالق قومه .

(٢) كنّي عن البناء بمقدماته ، وفعلا دارت رحى العمل على أشد ما تكون وفرعون يعلم أنه مجرد تمويه على العامة وشغل لأذهانهم عن معرفة الحق الذي دعا إليه موسى : وهل بني الصرح؟ روي أنّه قبل أن يتم سقط فقتل خلقاً كثيراً من العمال والبنائين ، ولعل في قوله تعالى : (وما كيد فرعون إلا في تبات) من سورة المؤمن ، إشارة إلى سقوطه وهلاك القائمين ببنائه .

(٣) (بغير الحق) أي : الموجب لهم الاستكبار ولا يوجد حق يوجب الاستكبار قط .

(٤) نسب موسى إلى جماعة الكذب وهو يعلم أنه صادق تمويهاً على الرعية ، ودفعاً للحق الذي بهره نوره فما أطاقه فهو يبحث عن المخرج .

لهم الاستكبار ﴿وظنوا أنهم إلينا لايرجعون﴾[1] أي كذبوا بالبعث الآخر. قال تعالى: ﴿فأخذناه وجنوده﴾[2] أي بسبب استكبارهم وكفرهم وتكذيبهم بآيات الله ﴿فنبذناهم في اليم﴾[3] أي في البحر وقال لرسوله ﷺ ﴿فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾ إنها كانت وبالاً عليم وخساراً لهم. وقوله تعالى ﴿وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار﴾ أي جعلنا فرعون وملأه أئمة في الكفر تقتدي بهم العتاة والطغاة في كل زمان ومكان ﴿يدعون إلى النار﴾ بالكفر والشرك والمعاصي وهي موجبات النار. ﴿ويوم القيامة لاينصرون﴾ بل يضاعف لهم العذاب ويخذلون ويهانون لأن من دعا إلى سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها لاينقص من أوزارهم شيء.

وقوله تعالى: ﴿وأتبعناهم﴾ أي آل فرعون ﴿في هذه الدنيا لعنة﴾ إنتهت بهم إلى الغرق الكامل والخسران التام، ﴿ويوم القيامة هم من المقبوحين﴾[4] أي المبعدين من رحمة الله الثاوين في جهنم ولبئس مثوى المتكبرين وقوله تعالى ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ أي التوراة وذلك بعد إهلاك الظالمين وقوله ﴿من بعد ما أهلكنا القرون الأولى﴾ أي قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم إبراهيم وقوله ﴿بصائر﴾ أي الكتاب بما يحمل من الهدى والنور ﴿بصائر﴾ أي ضياء للناس من بني إسرائيل يبصرون على ضوءه كل مايحتاجون إليه في أمور دينهم ودنياهم ﴿وهدى ورحمة﴾ أي وبياناً لهم ورحمة لمن يعمل به منهم. وقوله ﴿لعلهم يتذكرون﴾ أي وجود الكتاب بصائر وهدى ورحمة بين أيديهم حال تدعوهم إلى أن يتذكروا دائماً نعم الله عليهم فيشكرونه بالإيمان به وبرسله وبطاعته وطاعة رسله عليهم السلام.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ بيان أن فرعون كان على علم بأنه عبد مربوب لله وأن الله هو رب العالمين.

٢ ـ تقرير صفة العلو والاستكبار لفرعون وأنه كان من العالين.

٣ ـ بيان كيف تكون عاقبة الظلمة دماراً وفساداً.

---

(١) يطلق الظن ويراد به اليقين ويكون على بابه وهو هنا كفر ولو كان على بابه لأنّ الشك في العقائد كفر.

(٢) قبل من هلك مع فرعون من جند كانوا مليوناً وستمائة ألف.

(٣) ناحية بحر القلزم في موضع منه يقال له بطن عُريرة.

(٤) المشوّهي الخلقة المسودي الوجوه زرق العيون فما أقبحهم وما أقبح ما كانوا يصنعون!! يقال: قبحه وقبّحه مشدداً ومخففاً أي: نحاه من كل خير، أو جعله قبيحاً. قال الشاعر:

ألا قبّح الله البراجم كلها وقبح يربوعاً وقبح دارما

٤ ـ دعاة الدعارة والخنا والضلالة والشرك أئمة أهل النار يدعون إليها وهم لايشعرون .
٥ ـ بيان إفضال الله تعالى على بني إسرائيل بإنزال التوراة فيهم كتاباً كله بصائر وهدى ورحمة .

وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

شرح الكلمات :

وماكنت بجانب الغربى : أي لم تكن يارسولنا حاضراً بالجانب الغربي من موسى .

إذ قضينا إلى موسى الأمر : أي بالرسالة إلى فرعون وقومه .

وماكنت من الشاهدين : حتى تعلمه وتخبر به .

ولكنا أنشأنا قروناً فتطاول عليهم العمر : أي غير أننا أنشأنا بعد موسى أمماً طالت أعمارهم فنسوا العهود واندرست العلوم وانقطع الوحي فجئنا بك رسولاً وأوحينا إليك خبر موسى وغيره .

وماكنت ثاوياً فى أهل مدين : أي ولم تكن يارسولنا مقيماً في أهل مدين فتعرف قصتهم .

وماكنت بجانب الطور إذ نادينا	: أي لم تكن بجانب الطور أي جبل الطور إذ نادينا موسى وأوحينا إليه ماأوحينا حتى تخبر بذلك .
ما أتاهم من نذير من قبلك	: أي أهل مكة والعرب كافة .
ولولا أن تصيبهم مصيبة الخ	: أي فيقولوا لولا أي هلا أرسلت إلينا رسولاً لعاجلناهم بالعقوبة ولما أرسلناك إليهم رسولاً .

معنى الآيات

بعد انتهاء قصص موسى مع فرعون وإنزال التوراة ﴿بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون﴾ وكان القصص كله شاهداً على نبوة الرسول محمد ﷺ خاطب الله تعالى رسوله فقال : ﴿وماكنت﴾ أي حاضراً ﴿بجانب الغربي﴾ أي بالجبل الغربي من موسى ﴿إذ قضينا إلى موسى الأمر﴾[1] بإرساله رسولاً إلى فرعون وملئه ﴿وماكنت من الشاهدين﴾ أي الحاضرين إذاً فكيف علمت هذا وتتحدث به لولا أنك رسول حق ؟!

وقوله : ﴿ولكنا أنشأنا[2] قروناً﴾ أي أمماً بعد موسى ﴿فتطاول عليهم العمر﴾ أي طالت بهم الحياة وامتدت فنسوا العهود واندرست العلوم الشرعية وانقطع الوحي فجئنا بك رسولاً وأوحينا إليك خبر موسى وغيره وقوله : ﴿وماكنت ثاوياً﴾ أي مقيماً ﴿في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا﴾ فكيف عرفت حديثهم وعرفت إقامة موسى بينهم عشر سنين لولا انك رسول حق يوحى إليك نبأ الأولين وهو معنى قوله تعالى ﴿ولكنا كنا مرسلين﴾ فأرسلناك رسولاً وأوحينا إليك أخبار الغابرين .

وقوله : ﴿وما كنت بجانب الطور﴾ أي جبل الطور ﴿إذ نادينا﴾ موسى وأمرناه بما أمرناه وأخبرناه بما أخبرنا به ، فكيف عرفت ذلك وأخبرت به لولا أنك رسول حق يوحى إليك . قوله تعالى ﴿ولكن رحمة من ربك﴾[3] أي أرسلناك رحمة من ربك للعالمين ﴿لتنذر قوماً ما أتاهم

---

(١) إذ كلّفناه أمرنا ونهينا والزمناه عهدنا .

(٢) (ولكنا أنشأنا) الخ وجه هذا الاستدراك أنّ المشركين لما تعجبوا من رسالة محمد ﷺ حين لم يسبقها رسالة إلى آبائهم فأعلمهم أن الله تعالى أرسل موسى بعد فترة من الرسل كذلك ولكن لطول الزمن ومضي القرون نسوا رسالة موسى عليه السلام حتى قالوا : ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة .

(٣) أي : ما كان علمك بذلك لحضورك ولكن كان علمك رحمة من ربك فرحمة : منصوب في الآية على تقدير كون محذوف أي : كان علمك رحمة . ويصح النصب على المفعول المطلق أي : ولكن رحمناك رحمة فعلمناك ذلك بواسطة إيحائنا إليك .

من نذير من قبلك﴾ وهم أهل مكة والعرب أجمعون ﴿لعلهم يتذكرون﴾ أي كيْ يتعظوا فيؤمنوا ويهتدوا فينجوا ويسعدوا.

وقوله تعالى: ﴿ولولا أن تصيبهم مصيبة[1]﴾ أي عقوبة ﴿بما قدمت أيديهم﴾ أي من الشرك والمعاصي ﴿فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً﴾ أي هلا أرسلت إلينا رسولاً ﴿فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين﴾ أي لولا قولهم هذا لعاجلناهم[2] بالعذاب ولما أرسلناك إليهم رسولاً إذاً فمالهم لا يؤمنون ويشكرون ؟؟!

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - تقرير النبوة المحمدية بأقوى الأدلة العقلية.

٢ - بعثة الرسول محمد ﷺ جاءت في أوانها واشتداد الحاجة إليها.

٣ - البعثة المحمدية كانت عبارة عن رحمة إلهية رحم الله بها العالمين.

٤ - جواب ﴿لولا﴾ في قوله ﴿ولولا أن تصيبهم﴾. محذوف وقد ذكرناه وهو لعاجلناهم بالعقوبة ولما أرسلناك إليهم رسولاً.

فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾

۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾

---

(١) (لولا) هنا حرف امتناع لوجود، امتنع إنزال العذاب بهم لوجود قولهم (لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك) أما لولا الثانية فهي أداة تحضيض.

(٢) في الآية معنى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا).

شرح الكلمات :

فلما جاءهم الحق من عندنا : أي محمد ﷺ رسولاً مبيناً.

قالوا لولا أوتي مثل ماأوتي موسى : أي هلا أعطي مثل ماأعطي موسى من الآيات المعجزات من العصا واليد أو كتاباً جملة واحدة كالتوراة.

أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل : أي كيف يطالبونك بأن تؤتي مثل ما أوتي موسى وقد كفروا بما أوتي موسى من قبل لما أخبرهم اليهود أنهم يجدون نعت محمد في التوراة كفروا بهذا الخبر ولم يقبلوه.

وقالوا سحران تظاهرا : أي التوراة والقرآن كلاهما سحر ظاهر بعضهما بعضاً أي قواه.

فإن لم يستجيبوا لك : أي بالإتيان بالكتاب الذي هو أهدى من التوراة والقرآن.

فاعلم أنما يتبعون أهواءهم : في كفرهم ليس غير، فلا عقل ولا كتاب منير.

ومن أضل ممن اتبع هواه : أي لا أضلُّ منه قط.

ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون : أي بأخبار الأولين وما أحللنا بهم من نقمتنا لما كذبوا رسلنا وأنكروا توحيدنا ﴿لعلهم يتذكرون﴾ أي يتعظون فيؤمنون ويوحدون.

معنى الآيات :

لما قرر تعالى نبوة رسوله محمد ﷺ بأدلته التي لا أقوى منها ولا أوضح وبين حاجة العالم إليها لاسيما العرب وذكر أنه[1] لولا كراهة قولهم : ﴿لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين﴾ لما أرسل إليهم رسوله. ذكر هنا ما واجه به المشركون تلك الرحمة المهداة فقال عنهم ﴿فلما جاءهم[2] الحق من عندنا﴾ أي محمد النبي ﷺ قالوا : ﴿لولا أوتي مثل ماأوتي موسى﴾ أي من الآيات كالعصا واليد البيضاء حتى نؤمن به ونصدق رسالته قال

---

(١) ولأخذهم بالعذاب جزاء كفرهم وشركهم وفسادهم.

(٢) هذه الفاء هي الفصيحة أفصحت عن جواب طلب متقدم وهو قول المشركين. لولا أرسلت إلينا رسولاً أي. هلاّ أرسلت إلينا رسولاً مطالبين بذلك بإلحاح.

تعالى : ﴿أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل ؟ قالوا سحران تظاهرا﴾[1]. وقالوا : ﴿إنا بكل كافـرون﴾ وذلك أن قريشاً لما كثر المؤمنون وهالهم الموقف بعثوا إلى يهود المدينة يسألونهم بوصفهم أهل الكتاب الأول عن مدى صدق محمد ﷺ فيما يقوله فأجابهم اليهود بأنهم يجدون نعوت النبي الأمي في التوراة وأنه رسول حق وليس بكذاب ولا دجال فما كان من المشركين من قريش إلا أن أعلنوا كفرهم بالتوراة وقالوا : التوراة والقرآن ﴿سحران﴾[2] تعاونا فلا نؤمن بهما ولانصدق من جاء بهما وقرىء ﴿ساحران﴾ أي موسى ومحمد عليهما السلام فلا نؤمن بهما.

هذا معنى قوله تعالى ﴿أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون﴾ أي بكل منهما كافرون

فكيف لايخجلون اليوم ويطالبون محمداً أن يعطى مثل الذي أعطي موسى من الآيات ياللعجب أين يذهب بعقول المشركين ؟!!

وقوله تعالى : ﴿قل فأتوا بكتاب من عند الله﴾ أي قل يارسولنا لهؤلاء المشركين الذين كفروا بالتوارة والقرآن ﴿فأتوا بكتاب من عند الله﴾ أنزله بعلمه يكون أكثر هداية من التوراة والقرآن . . أتبعه ! ﴿إن كنتم صادقين﴾ في دعواكم بأن الفرقان والتوراة سحران تظاهرا.

وقوله تعالى : ﴿فإن لم يستجيبوا لك﴾ بالإتيان بكتاب من عند الله تعالى هو أهدى من الفرقان والتوراة ومن أين لهم بذلك . . إنه المستحيل ! إذاً فاعلم أنهم إنما يتبعون أهواءهم فيمـا يقـولـون ويدعـون فلا عقـل ولا نقـل عنـدهـم ﴿ومن أضـل ممن اتبـع هواه بغير هدى من الله﴾؟! اللهم إنه لا أضل منه . والنتيجة أنه لا أضل من هؤلاء المشركين من قريش وقوله تعالى ﴿ إن الله لايهدي القوم الظالمين﴾[3] هذا بيان لسنة الله تعالى فى الظالمين الذين أكثروا من الظلم وتوغلوا فيه عقيدة بالشرك وعملاً بالمعاصي فإنه يحرمهم الهداية فلا يهتدون أبداً.

وقوله تعالى :﴿ولقد وصلنا[4] لهم القول لعلهم يتذكرون﴾ أي لقد وصلنا أى لهؤلاء المشركين

---

(١) أي : موسى ومحمد تعاونا على السحر.

(٢) قرأ نافع (ساحران تظاهرا) وقرأ حفص : (سِحران) إخبار بالمصدر.

(٣) المراد بالظالمين : الكاملون في الظلم وهو ظلم الأنفس وظلم الناس وظلم الشرك وهو أعظمها . (إنّ الشرك لظلم عظيم) وكذا إتيان الفواحش.

(٤) التوصيل مبالغة في الوصل وهو: ضمّ شيء إلى شيء وربطه به ، والقول القرآن ألفاظه وصل بعضها ببعض إذ نزل منجما كلما نزل آى وصل بالآخر حتى اكتمل ، ووصلت معانيه بعضها ببعض بإحكام وإتقان لم يُعهدا في كتاب غيره وصل وعده بوعيده وترغيبه بترهيبه.

من قومك يارسولنا أي وصلنا لهم القول بأخبار الماضين، وما أحللنا بهم من بأسنا ونقمنا وعظيم عقوباتنا لما كفروا كما كفر هؤلاء وكذبوا بما كذّب به هؤلاء وصلنا لهم القول مبيناً واضحاً موصولاً أوله بآخره رجاء أن يتذكروا فيذكروا فيؤمنوا ويوحدوا فينجوا من العذاب ويرحموا بدخول الجنة.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - بيان تناقض المشركين وكل من يتبع الهوى ويترك الهدى الإلهي.

٢ - بيان تحدي المشركين بالإتيان بكتاب من عند الله وعجزهم عن ذلك فبان بذلك أنهم يتبعون أهواءهم وأنه لا أضل منهم اليوم.

٣ - بيان سنة الله في حرمان المتوغلين في الظلم من الهداية الإلهية.

٤ - بيان أن الله عز وجل وصل القول لأهل مكة مفصلاً مبيناً لهدايتهم فله الحمد وله المنة وعلى الكافرين اللعنة في جهنم.

ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾

شرح الكلمات :

الذين آتيناهم الكتاب من قبله : أي التوراة والإنجيل من قبل القرآن الكريم.

وإذا يتلى عليهم : أي القرآن.

إنا كنا من قبله مسلمين : أي منقادين لله مطيعين لأمره ونهيه.

أجرهم مرتين : أي يضاعف لهم الثواب لأنهم آمنوا بموسى وعيسى وآمنوا بمحمد ﷺ

ويدرءون بالحسنة السيئة : أي يدفعون بالحسنة من القول أو الفعل السيئة منهما.

وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه : أي الكلام اللاغي الذي لايقبل ولا يقر عليه لأنه لايحقق درهماً للمعاش ولاحسنة للمعاد.

سلام عليكم : هذا سلام المتاركة أي قالوا قولاً يسلمون به.

لانبتغي الجاهلين : أي لا نطلب صحبة أهل الجهل لما فيها من الأذى.

معنى الآيات :

إن قوله تعالى : ﴿ولقد وصلنا لهم القول﴾ يشمل أيضاً اليهود والنصارى من أهل الكتاب إذ هم كالعرب فيما بين لهم من أخبار الماضين وفصل من أنباء إهلاك الأمم السابقة وما أنزل من بأساء وعذاب بالمكذبين، إذ الجميع مطالبون بالإيمان والعمل الصالح والتخلي عن الشرك والكفر والمعاصي للنجاة والسعادة فذكر تعالى هنا أن فريقاً من أهل الكتاب يؤمنون بالنبي محمد لأنه الحق من ربهم. فقال تعالى : ﴿الذين آتيناهم[1] الكتاب من قبله هم به يؤمنون﴾ ﴿وإذا يتلى عليهم﴾ أي القرآن ﴿قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله﴾ أي من قبل نزول[2] القرآن ﴿مسلمين﴾ أي موحدين منقادين نعبد الله بما شرع على لسان موسى وعيسى عليهما السلام هذه الآية تعني مجموعة من آمن من أهل الكتاب على عهد رسول الله ونزول القرآن منهم عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وغيرهما. وقوله تعالى : ﴿أولئك يؤتون أجرهم[3] مرتين﴾ أي مضاعفاً لأنهم آمنوا برسولهم وعملوا بما جاء به من الحق وآمنوا بمحمد ﷺ وماجاء به من الهدى وقوله ﴿ويدرءون[4]﴾ أي يدفعون ﴿بالحسنة﴾ وهي الصفح والعفو ﴿السيئة﴾ وهي الأذي من سب وشتم. وقوله ﴿ومما رزقناهم[5] ينفقون﴾ أي

---

(١) ذُكر عدة أقوال في هؤلاء الذين نزلت فيهم هذه الآية منها وهو أقربها لأنّ السورة مكيـة أنها نزلت في النجاشي وأصحابه إذ وجّه باثني عشر رجلا فجلسوا إلى النبي ﷺ وكان أبو جهل وأصحابه قريبا منهم فآمنوا بالنبي ﷺ فلما قاموا من عنده تبعهم أبو جهل ومن معه فقال لهم. خيبكم الله من ركب وقبّحكم من وفد لم تلبثوا أن صدّقتموه وما رأينا ركباً أحمق منكم ولا أجهل. فقالوا: سلام عليكم لم نأل أنفسنا رشدا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم.

(٢) ومن قبل محمد ﷺ كذلك.

(٣) ثبت في الصحيح (أن ثلاثة يؤتون أجرهم مرّتين، رجل من أهل الكتاب آمن بنبيّه وأدرك النبي ﷺ فآمن به واتبعه وصدّقه فله أجران وعبد مملوك أدى حق الله عز وجل وحق سيده فله أجران ورجل كانت له أمة فغذاها فأحسن غذاءها ثم أدّبها فأحسن أدبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران) قال الشعبي : خذ هذا الحديث بغير شيء فقد كان الرجل يرحل فيما دون هذا إلى المدينة.

(٤) شاهده حديث معاذ : (اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن).

(٥) هذا الإنفاق عام في المال والعلم والجاه إذ كل ذلك من رزق الله والكل يُنفق منه في سبيل الله.

يتصدقون بفضول أموالهم حيث تنبغي الصدقة .

وقوله ﴿وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه﴾ أي وإذا سمع أولئك المؤمنون من أهل الكتابين اللغو من سفهاء الناس أعرضوا عنه ولم يلتفتوا إليه ولا إلى قائله وأجابوا قائلين ﴿لنا أعمالنا﴾ أي نتائجها حيث نجزى بها ﴿ولكم أعمالكم﴾ حيث تجزون بها ﴿سلام عليكم﴾ أي اتركونا، إنا لانبتغي[1] محبة الجاهلين، لما في ذلك من الأذى والضرر الناتج عن سلوك أهل الجهل بالله تعالى ومحابه ومكارهه .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ بيان فضل أهل الكتاب إذا آمنوا بالنبي الأمي وكتابه وأسلموا لله رب العالمين .

٢ ـ فضيلة من يدرء بالحسنة السيئة، وينفق مما رزقه الله .

٣ ـ فضيلة من يعرض عن اللغو وأهل الجهالات، ويقول مايسلم به من القول، وهذه إحدى صفات عباد الرحمن ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾ أي قولاً يسلمون به . وهذا السلام ليس سلام تحية وإنما هو سلام متاركة .

إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ

---

(١) أي : لا تطلبهم للجدال والمراجعة والمشاتمة والمخاصمة .

ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾

شرح الكلمات :

إنك لاتهدي من أحببت	: أى هدايته كأبي طالب بأن يسلم ويحسن إسلامه .
وقالوا	: أي مشركو قريش .
إن نتبع الهدىٰ معك	: أي إن نتبعك على ماجئت به وندعو إليه وهو الإسلام .
نتخطف من أرضنا	: أي تتجرأ علينا قبائل العرب ويأخذوننا .
يجبى إليها ثمرات كل شىء	: أي يحمل ويساق إليه ثمرات كل شىء من كل ناحية .
رزقاً من لدنا	: أي رزقاً لكم من عندنا ياأهل الحرم بمكة .
بطرت معيشتها	: أي كفرت نعمة الله عليها فأسرفت في الذنوب وطغت في المعاصي .
يبعث في أمها رسولاً	: أي في أعظم مدنها . وهي العاصمة .
إلا وأهلها ظالمون	: بالتكذيب للرسول والإصرار على الشرك والمعاصي .

معنى الآيات :

قولـه تعـالى : ﴿إنك لاتهدي . . بالمهتدين﴾ هذه الآية نزلت في شأن[1] أبي طالب عم الرسول ﷺ إذ كان النبي ﷺ يرغب في إسلامه لما له من سالفة في الوقوف إلى جنب النبي ﷺ يحميه ويدافع عنه فلما حضرته الوفاة زاره النبي ﷺ وعرض عليه الشهادتين فكان يقول له : ياعم قل لا إلـه إلا الله كلمـة أحـاج لك بهـا عند الله يوم القيامة وكان حوله عواده من كفار قريش ، ومشائخها فكانوا ينهونه عن ذلك حتى قالوا له : أترغب عن دين أبائك ؟ أترغب عن ملة عبـد المـطلب أبيك حتى قال هو على ملة عبد المطلب ومات . فقال النبي ﷺ لأستغفرن لك مالم أُنْهَ عن ذلك فنهاه الله فلم يستغفر له بعد ونزلت هذه الآية كالعزاء له ﷺ فقال نعالى : ﴿إنك لاتهدي من أحببت﴾ هدايته يانبينا ﴿ولكن الله يهدي من يشاء﴾ هدايته لعلمه أنه يطلب الهداية ولايرغب عنها كما رغب عنها أبو طالب وأبو لهب وغيرهما ،

---

(١) روى البخاري سبب نزول هذه الآية وأنها نزلت في أبي طالب عم الرسول ﷺ .

﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ أي بالذين سبق في علمه تعالى أنهم يهتدون.

وقوله تعالى: ﴿إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا﴾ هذا اعتذار اعتذر به بعض رجالات قريش[1] فقالوا نحن نعرف أن ماجئت به حق ولكننا نخشى إن آمنا بك واتبعناك يتألب علينا العرب ويرموننا عن قوس واحدة ونصبح نتخطف من قبل المغيرين كما هو حاصل لغيرنا، وبذلك نحرم هذا الأمن والرخاء وتسوء أحوالنا، لهذا نعتذر عن متابعتك فيما جئت به وأنت تدعو إليه من الكفر بآلهتنا وهدمها والتخلي عنها. فقال تعالى في الرد على هذا الاعتذار الساقط البارد ﴿أولم نمكن[2] لهم حرماً آمناً يجبى[3] إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا﴾ أي لم يوطىء لهم أرض بلد حرمناه فلا يسفك فيه دم، ولايصاد فيه صيد، ولا يؤخذ فيه أحد بجريرة، أليس هذا كافياً في أن يعلموا أن الذي جعل لهم حرماً آمنا قادر على أن يؤمنهم إذا آمنوا وأسلموا، ومن باب أولى. ﴿ولكن أكثرهم لايعلمون[4]﴾ فهذه علة اصرارهم على الشرك والكفر. إنها الجهل بالله تعالى وعظمته وعلمه وحكمته. ومعنى يجبى أو تجبى إليه ثمرات كل شيء أي يحمل إليه ويساق من أنحاء البلاد ثمرات كل شيء من أنواع الأرزاق وكان ذلك رزقاً منه تعالى لأهل الحرم. أفلا يشكرون.

وقوله تعالى ﴿وكم أهلكنا من قرية﴾ أي وكثيرا من أهل القرى أهلكناهم (بطرت معيشتها[5]) لما بطروا عيشهم فلم يشكروا نعمة الله عليهم فأسرفوا في الظلم والمعاصي فأهلكناهم ﴿فتلك مساكنهم﴾ أي ديارهم ﴿لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً﴾[6] كديار عاد وثمود والمؤتفكات. ﴿وكنا نحن الوارثين﴾ لها، فلم نورثها غيرهم وتركناها خاوية خالية لم تسكن. أما يذكرون هذا فيعلموا بذلك قدرتنا فيتقوا فينا ويتوكلوا علينا ويؤمنوا ويوحدوا ويستقيموا على منهج الحق الذي جئت يارسولنا به.

وقوله: ﴿وما كان ربك﴾ يأيها الرسول ﴿مهلك القرى﴾ أي أهل المدن والحواضر ﴿حتى يبعث في أمها رسولاً﴾ كما بعثك في أم القرى مكة ﴿يتلو عليهم آياتنا﴾ أي لم يكن

---

(١) من القائلين هذا القول من قريش الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبدمناف القرشي وكان هذا القول من تعللاتهم فأجاب تعالى عما اعتل به هؤلاء فقال: (أولم نُمكّن لهم حرماً آمناً..) الخ.

(٢) الاستفهام للإنكار عليهم أن يكون الله تعالى لم يمكّن لهم حرماً آمناً

(٣) قرأ نافع تجبى بالتاء، وقرأ حفص بالياء، والجبي: الجمع، والجلب، ومنه جباية الزكاة أي جمع أموالها، وجابية الحوض ما يجمع فيها الماء من البئر.

(٤) هذا الاستدراك لذكر علة تجاهلهم حماية الله تعالى لهم بتمكين الحرم لهم فهم فيه آمنون مُطعمون ألا وهي الجهل فهو علّتهم الحاملة لهم على الإصرار على الشرك.

(٥) بطرت: جهلت شكر معيشتها.

(٦) (إلا قليلاً) أي: كالمسافرين الذين يمرون بها وينزلون بها ساعات ويغادرون.

(٧) الجملة في محل نصب صفة لـ (رسولاً).

من سنة الله تعالى هذا بل لايهلك أمة حتى يبعث في أم بلادها رسولاً يتلو عليهم آيات الله المبينة للحق من الباطل والخير من الشر وجزاء ذلك وقوله تعالى : ﴿وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون﴾[1] أي ولم يكن من سنة الله تعالى في عبادة أن يهلك القرى إلا بعد ظلم أهلها.

فللإ هلاك شرطان :

الأول : أن يبعث الرسول يتلو آياته فيكذب ويكفر به وبما جاء به.

والثاني : أن يظلم أهل القرى ويعتدوا وذلك باظهار الباطل والمنكر وإشاعة الشر والفساد في البلاد وهذا من عدل الله تعالى ورحمته بعباده إنه لأرحم بهم من أنفسهم، وكيف ومن أسمائه وصفاته الرحمن الرحيم.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ تقرير مبدأ لاهادي إلا الله. الهداية المنفية هي انارة قلب العبد وتوفيق العبد للإيمان وعمل الصالحات، وترك الشرك والمعاصي. والهداية المثبتة، يقول الله تعالى وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم. تلك هداية الدعوة والوعظ والارشاد، ومنه ﴿ولكل قوم هاد﴾ أي يدعوهم إلى الهدى.

٢ ـ مظاهر قدرة الله وعلمه ورحمته وحكمته فيما ألقاه في قلوب العرب المشركين الجاهلين من تعظيم الحرم وأهله ليهيء بذلك لسكان حرمه أمناً وعيشاً كما قال تعالى ﴿فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾قريش (٢ ـ ٤).

٣ ـ من رحمة الله وعدله أن لايهلك أمة من الأمم إلا إذا توفر لهلاكها شرطان :

١ ـ أن يبعث فيهم رسولاً يتلو عليهم آيات الله تحمل الهدى والنور.

٢ ـ أن يظلم أهلها بالتكذيب للرسول والكفر بما جاء به والاصرار على الكفر والمعاصي.

٤ ـ التاريخ يعيد نفسه كما يقولون فما اعتذر به المشركون عن قبول الإسلام بحجة تألب العرب عليهم وتعطيل تجارتهم يعتذر به اليوم كثير من المسؤولين فعطلوا الحدود وجاروا الغرب في فصل الدين عن الدولة واباحوا كبائر الاثم كالربا وشرب الخمور وترك الصلاة حتى لايقال عنهم أنهم رجعيون متزمتون فيمنعوهم المعونات ويحاصرونهم اقتصادياً.

---

(١) أي : إلاّ بعد أن ظلموا بالشرك والمعاصي بارتكاب عظائم الذنوب وكبائر الآثام، وذلك لتنزّه الرب تبارك وتعالى عن الظلم.

وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾

شرح الكلمات :

وما أوتيتم من شيء	: أي وما أعطاكم الله من مال أو متاع .
فمتاع الحياة الدنيا وزينتها	: فهو ماتتمتعون به وتتزينون ثم يزول ويفنىٰ .
وما عند الله خير وأبقىٰ	: أي وما عند الله من ثواب وهو الجنة خير وأبقىٰ .
أفلا تعقلون	: لأن من يؤثر القليل الفاني على الكثير الباقي لاعقل له .
وعداً حسناً	: أي الجنة .
فهو لاقيه	: أي مصيبه وحاصل عليه وظافر به لا محالة .
من المحضرين	: أي في نار جهنم .

معنى الآيتين :

لقد سبق في هذا السياق أن المشركين اعتذروا عن الإسلام بعذر مادي بحت وهو وجود عداوة بينهم وبين سائر العرب . يترتب عليها حروب وتعطل التجارة إلى غير ذلك . فقوله تعالى هنا ﴿وما أوتيتم[1] من شيء[2] فمتاع الحياة الدنيا﴾ هو خطاب لهم ولكل من يؤثر الحياة الدنيا على الآخرة فيستحل المحرمات ويعطل الأحكام ويضيع الفرائض والواجبات لتعارضها في نظره مع جمع المال والتمتع بالحياة الدنيا . وقوله تعالى : ﴿وما أوتيتم من شيء﴾ أي من مال ومتاع وإن كثر ﴿فمتاع الحياة الدنيا﴾ أي فهو متاع الحياة الدنيا ﴿وزينتها﴾ أي تتمتعون وتتزينون به أياماً أو أعواماً ثم ينفد ويزول ، أو تموتون عنه وتتركونه ﴿وما عند الله﴾

---

(١) في هذه الآية الكريمة تذكرة لقريش التي آثرت الدنيا على الآخرة فردت الإسلام مخافة ان يؤثر على حياتها الاقتصادية والأمنية في تصورها الهابط المتهالك وهي أيضاً تذكرة لكل الذين يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة .

(٢) (من) بيانية فقوله : (من شيء) بيان لما في قوله : (وما أوتيتم) والمتاع ما يتمتّع به زمناً ثمّ يزول ، والزينة تطلق على ما يحسن الأجسام .

من نعيم الجنة ﴿خير وأبقىٰ﴾ خير في نوعه وأبقىٰ في مدته، فالأول رديء وتصحبه المنغصات ويعقبه الكدر. والثاني جيد صالح خال من المنغصات والكدورات وباق لا يبلى ولا يفنى ولا يزول ولايموت صاحبه ويخلفه وراءه. ﴿أفلا تعقلون﴾ يامن تؤثرون الفاني على الباقي والرديء على الجيد والخبيث على الطيب. وقوله تعالى: ﴿أفمن[1] وعدناه وعداً حسناً﴾ وهو المؤمن الصادق في إيمانه المؤكد له بصالح عمله، ﴿وعدناه وعداً حسناً﴾ وهو الجنة دار السلام فهو[2] لاقيه﴾ أي لاق موعده بإذن الله بمجرد أن يلفظ أنفاسه وتعرج إلى السماء روحه. ﴿كمن متعناه متاع الحياة الدنيا﴾ فهو يأكل ويشرب وينكح كالبهائم ﴿ثم هو يوم القيامة من المحضرين﴾ في جهنم في دار العذاب والهوان، والجواب: لايستويان أبداً وشتان مابينهما، فالأول وهو المؤمن الصالح الموعود بدار السلام لايقارن بالكافر المتهالك على الدنيا ثم يتركها فجأة ويجد نفسه مع أهل الكفر والإجرام في عذاب وهون لايفارقه ولايخرج منه أبداً.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ فائدة العقل أن يعقل صاحبه دون مايضره، ويبعثه على ماينفعه فإن لم يعقله دون ما يضره ولم يبعثه على ماينفعه فلا وجود له، ووجوده كعدمه.

٢ ـ بيان فضل الآخرة على الدنيا.

٣ ـ وعد الله للمؤمن بالجنة خير مما يؤتاه الكافر من مال ومتاع وزينة في الحياة الدنيا.

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ

---

(١) الاستفهام إنكاري ينكر فيه تعالى التسوية فضلاً عن المفاضلة بين مؤمن وعده ربُه النعيم المقيم في الآخرة وكافر منعه اليوم بمتع زائلة فانية عمّا قريب تنتهي وتزول ويؤول أمره إلى دار الشقاء والعذاب الأبدي وهي دار البوار.

(٢) جملة (فهو لاقيه) معترضة بين طرفي المقابلة في المفاضلة.

لَهُمْ وَرَأَوُا ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾

شرح الكلمات :

ويوم يناديهم : أي الربّ سبحانه وتعالى .

كنتم تزعمون : أي أنهم شركاء لي فعبدتموهم معي .

حق عليهم القول : أي بالعذاب في النار وهم أئمة الضلال .

أغو يناهم : أي فَغَوَوْا ولم نكرههم على الغي .

تبرأنا إليك : أي منهم ما كانوا يعبدوننا بل كانوا يعبدون أهواءهم .

وقيل ادعوا شركاءكم : أي نادوهم ليخلصوكم مما أنتم فيه .

لو أنهم كانوا يهتدون : أي لما رأوا العذاب وَدُّوا لو أنهم كانوا في الدنيا من المهتدين .

ويوم يناديهم : أي الله تبارك وتعالى .

فعميت عليهم الأنباء : أي فخفيت عليهم الأنباء التي يمكنهم أن يحتجوا بها .

فهم لايتساءلون : أي انقطعوا عن الكلام .

فأما من تاب وآمن : أي آمن بالله ورسوله وتاب من الشرك .

وعمل صالحاً : أدى الفرائض والواجبات .

فعسى أن يكون من المفلحين : أي الفائزين بالنجاة من النار ودخول الجنة ، وعسى من الله تعالى لاتفيد مجرد الرجاء بل هى لتحقق الموعود به .

معنى الآيات :

يقول تعالى لرسوله واذكر يوم ينادي[1] ربك هؤلاء المشركين وقد ماتوا على شركهم فيقول لهم

---

(١) بعد تقرير النبوة انتقل الكلام إلى تقرير ركني العقيدة : التوحيد والبعث ، فيوم معمول لمحذوف تقديره : أذكر يا رسولنا يوم ينادي الجبار أولائك المحضرين في جهنم يناديهم للتوبيخ والتقريع .

﴿أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ أي أنهم شركائي هذا سؤال تقريع وتأنيب والتقريع والتأنيب ضرب من العذاب الروحي الذي هو أشد من العذاب الجثماني. وقوله تعالى ﴿قال الذين[1] حق عليهم القول﴾ أي نطق الرؤساء من أئمة الضلال وهم الذين حق عليهم العذاب في نار جهنم ﴿ربنا هؤلاء[2] الذين أغوينا﴾ ﴿أغويناهم﴾ فغووا ﴿كما غوينا[3]﴾ أي ما أكرهناهم على الغواية، ﴿تبرأنا إليك[4]﴾ أي منهم. ﴿ماكانوا إيانا يعبدون﴾ أي بل كانوا يعبدون أهواءهم لاغير. وقوله : ﴿وقيل ادعوا شركاءكم﴾ أي يقال للمشركين تهكماً بهم واستهزاء، ﴿ادعوا شركاءكم﴾ أي لينصروكم ويخلصوكم مما أنتم فيه من الذل والهوان.

قال تعالى : ﴿فدعوهم﴾ بالفعل نادوا ﴿فلم يستجيبوا لهم﴾ إذا لا يقدر واحد من الإنس أو الجن أن يقول هذا! كان يعبدني، بل كل معبود يتبرأ ممن عبده كما قالوا في الآية قبل ذي تبرأنا إليك أي منهم ما كانوا يعبدوننا بل كانوا يعبدون أهواءهم وقوله تعالى : ﴿ورأوا العذاب﴾ بأعينهم فاشتدت حسرتهم وودوا لو أنهم كانوا في الدنيا من المهتدين. وقوله تعالى : ﴿ويوم يناديهم﴾ أي ربهم قائلاً ﴿ماذا أجبتم المرسلين﴾ ؟ أخبرونا كيف كان موقفكم مع من أرسلنا إليكم ؟ هل آمنتم بهم واتبعتموهم أم كذبتموهم وحاربتموهم قال تعالى : ﴿فعميت[5] عليهم الأنباء يومئذ﴾ أي فخفيت عليهم الأخبار التى يمكنهم أن يحتجوا بها فلم يجدوا حجة واحدة ولذا ﴿فهم لايتساءلون﴾ أي لايسأل بعضهم بعضاً لأنه سقط في أيديهم وعلموا أنهم صالو الجحيم لا محالة . وقوله تعالى : ﴿فأما من تاب[6]﴾ من هؤلاء المشركين اليوم من الشرك وآمن بالله ولقائه ورسوله وعمل صالحاً فأدى الفرائض والواجبات ﴿فعسىٰ أن يكون من المفلحين﴾ أي الفائزين بالنجاة من النار ودخول الجنة، فهذه دعوة سخية لكل مشرك وكافر وفاسق أن يتخلى عن الباطل المتلبس به ويؤمن الإيمان الصحيح ويعمل صالحاً بأداء الفرائض فإنه ينجو من النار ويدخل الجنة دار الأبرار فهل من تائب ؟!.

---

(١) لم نعطف جملة. (قال الذين) بالواو أو بالفاء لأنها في صورة حوار.

(٢) هذا النداء المراد به الاستعطاف والاسترحام.

(٣) أي : أضللناهم كما كنا ضالين، وذلك أنهم دعوهم إلى عبادتهم فعبدوهم، ولذا قال قتادة : هؤلاء هم الشياطين، وقيل : هم الرؤساء، والكل صحيح.

(٤) (تبرأنا) أي : تبرأ الشياطين والرؤساء ممن عبدوهم أو عبدوا غير الله بدعوتهم وتزيينهم، وأنكروا أنهم كانوا يعبدونهم.

(٥) خفيت الأنباء على جميع المسؤولين فسكتوا كلهم إذا لم يروا جواباً ينفع في هذا الموقف الرهيب.

(٦) هذه الفاء الفصيحة كأن سائلا قال بعد أن عرف حال المشركين في النار : وما حال غيرهم يا ترى؟ فأجيب بأن من تاب من الشرك وعمل صالحاً بأداء الفرائض ففلاحه العظيم واجب له متأكد.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ التنديد بالشرك والمشركين.

٢ ـ براءة الرؤساء في الضلالة من المرؤوسين.

٣ ـ التحذير من الغواية وهي الضلال والانغماس في الذنوب والآثام.

٤ ـ خذلان المعبودين عابديهم يوم القيامة وتبرؤهم منهم.

٥ ـ باب التوبة مفتوح لكل عبد مهما كانت ذنوبه ولا يهلك على الله إلا هالك.

وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾

شرح الكلمات :

يخلق مايشاء : أي من خلقه.

ويختار : أي من يشاء لنبوته وطاعته.

ما كان لهم : أي للمشركين.

الخيرة : أي الاختيار في شيء.

سبحان الله : أي تنزيها لله عن الشرك.

يعلم ماتكن صدورهم : أي ماتسر وتخفي من الكفر وغيره

له الحمد في الأولى : أي في الدنيا لأنه مولى كل نعمة.

وفي الآخرة : أي في الجنة.

وله الحكم : أي القضاء النافذ.

وإليه ترجعون : بعد النشور وذلك يوم القيامة.

معنى الآيات :

لقد تقدم في الآيات قبل هذه التنديد بالشرك وتوبيخ المشركين وتحديهم بدعاء شركائهم ليخلصوهم مما هم فيه من الذل والعذاب، وكان شركهم باختيارهم الخاص وإرادتهم الحرة إذ تبرأ منهم من اختاروهم آلهة مع الله فعبدوهم معه. وفي هذه الآية يكشف تعالى عن خطئهم في الاختيار، وذلك من وجهين : الأول أنه لاحق لهم في الاختيار. إذ الاختيار لخالق المخلوقات فيختار منها مايشاء لنبوته أو طاعته أما الذي يُخْلَقْ ولايَخْلُقُ فيكف يصح مئه اختيار. والثانى بحكم أنهم مخلوقون مربوبون لله تعالى وهم يعلمون هذا إذ لو سألهم أحد : من خلقكم؟ لقالوا :الله ؛ كان المفروض فيهم والمطلوب منهم أن يطلبوا من الله تعالى خالقهم أن يختار لهم مايعبدون ويبين لهم كيف يعبدون، إذ هو مولاهم الحق ولا مولى لهم سواه أما أن يركبوا رؤوسهم ويختاروا بأنفسهم مايعبدون فهذا ظلم منهم كبير استوجبوا به اللوم في الدنيا والعذاب في الآخرة. قال تعالى : (٦٨) ﴿وربك يخلق مايشاء﴾. . أي وربك يامحمد يخلق مايشاء ممن يريد خلقهم ويختار[1] من يشاء لما يشاء ممن يشاء من عباده لما يشاء من كمال أو نقصان .أما عبيده فليس لهم حق الاختيار وإنما عليهم السمع والطاعة قال تعالى : ﴿ما كان لهم الخيرة﴾[2] أي حق الاختيار بل الذي يختاره الله هو الذي يجب أن يختاره العبد. وقد كان النبي ﷺ يدعو ويقول : «اللهم خِرْ لي واختر لي» وكان يعلم أصحابه دعاء الاستخارة كما يعلمهم السورة من القرآن، ويحضهم على أن يختاروا في الأمر الواحد سبع مرات. وقوله تعالى : ﴿سبحان الله وتعالى عما يشركون﴾ نزه تعالى نفسه عن شرك المشركين وباطل المبطلين وقوله ﴿وربك يعلم ماتكن صدورهم ومايعلنون﴾ وهذا برهان أن الخيرة[3] له وليس لغيره إذ الذي يعلم الظواهر والبواطن والبدايات والنهايات قبل البدء والمنتهى صاحب هذا العلم هو الذي يختار. أما الذي لايعلم مايكنه أخوه في صدره بل ولا مايظهره آخر إلى جنبه أي لايعلم عاقبته فكيف يصح منه الاختيار أو تكون له خيرة في شيء. وفوق ذلك أنه سبحانه وتعالى وهو الله الذي لا إله إلا هو أي المعبود الذي لامعبود بحق سواه الذي له الحمد

---

(١) قيل نزلت رداً على الوليد بن المغيرة حين قال: لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم. كما هي ردّ على اختيارهم الشركاء ليشفعوا لهم يوم القيامة.

(٢) جائز أن يكون (ما) موصولاً مفعولاً به لفعل: يختار، والعائد محذوف أي : ويختار الذي لهم فيه خيرة، كما أنّ الخلق من خصائصه، إذ قال (وربك يخلق ما يشاء) فكذلك الاختيار له دون غيره، وجائز أن يكون الوقف التام على (ويختار)، وجملة (ما كان لهم الخيرة) مستأنفة لغرض تأكيد القصر على الله تعالى هو الخالق وحده وهو الذي يختار وحده وليس لأحد من الخلق الخلق والاختيار.

(٣) الخيرة: اسم مصدر الاختيار كالطيرة اسم مصدر التطير ولا نظير لهذه الصيغة في الأسماء (الطيرة والخيرة).

في الدنيا إذ كل مافي الدنيا هو خلقه وفضله وإنعامه، وله الحمد في الآخرة، يحمده أهل الجنة إذ قالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن بل الحياة الدنيا كالآخرة. تختم بالحمد لله.
قال تعالى ﴿وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين﴾ ﴿وله الحكم وإليه تُرجعون﴾ أي وله الحكم أي القضاء في الدنيا والآخرة ﴿وإليه ترجعون﴾ فكما أن الحكم خاص به فكذلك الرجوع إليه، ويوم يرجعون إليه يحكم بينهم بحكمه وهو العزيز العليم.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ تقرير مبدأ «ليس من حق العبد أن يختار إلا ما اختار الله له».
٢ ـ تعين طلب الاختيار في الأمر كله من الله تعالى بقول العبد «اللهم خر لي واختر لي».
٣ ـ تأكيد سنة الاستخارة وهي إذا هم العبد بالأمر يصلي ركعتين في وقت لاتكره فيه صلاة النافلة، ثم يدعو بدعاء الاستخارة كما ورد في الصحيح وهو «اللهم إني أستَخيرُكَ بعلمك وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ودنياي وفي عاجل أمري وآجله فاقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ودنياي وفي عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به». ويسمي حاجته التي همَّ بها من سفر أو زواج أو بناء أو تجارة أو غراسة.
٤ ـ تقرير التوحيد وابطال التنديد.
٥ ـ وجوب حمد الله وشكره على كل حال وذلك لتجدد النعمة في كل آن.

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٣﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾

شرح الكلمات :

أرأيتم : أي أخبروني.

سرمداً : أي دائماً، ليلاً واحداً متصلاً لا يعقبه نهار.

بضياء : أي ضوء كضوء النهار.

بليل تسكنون فيه : أي تنامون فتسكن جوارحكم فتستريح من تعب الحياة.

لتسكنوا فيه : أي في الليل.

ولتبتغوا من فضله : أي تطلبوا الرزق من فضل الله في النهار.

ولعلكم تشكرون : أي كي تشكروا ربكم بطاعته كالصلاة والصيام والصدقة.

ونزعنا من كل أمة شهيداً : أي أحضرنا من كل أمة من يشهد عليها وهو نبيها عليه السلام.

فقلنا هاتوا برهانكم : أي حججكم على صحة الشرك الذي أنذرتكم رسلنا عواقبه فما قبلتم النذارة ولا البشارة.

فعلموا أن الحق لله : أي تبين لهم أن العبادة والدين الحق لله لا لسواه.

وضل عنهم ماكانوا يفترون : أي وغاب عنهم ماكانوا يكذبونه من الأقوال الباطلة التي كانوا يردون بها على الرسل عليهم السلام.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في تقرير التوحيد وإبطال التنديد وهو حول أنداد الله تعالى من مخلوقاته فقال تعالى لرسوله محمد ﷺ، قل لهؤلاء المشركين الذين جعلوا لله أنداداً وهو

خالقهم ورازقهم ومدبر أمر حياتهم ﴿أرأيتم﴾[1] أي أخبروني ﴿إن جعل الله عليكم الليل سرمداً﴾ أي دائمًا[2] ليلاً واحداً متصلاً لايعقبه نهار ﴿إلى يوم القيامة﴾ أخبروني هل هناك ﴿إله غير الله يأتيكم بضياء﴾[3] كضياء النهار، والجواب لا أحد وإذاً فكيف تشركون به أصناماً. ﴿أفلا تسمعون﴾ مايقال لكم. وقل لهم أيضاً ﴿أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً﴾ أي دائمًا متصلاً لايخلفه ليل أبداً ﴿إلى يوم القيامة﴾ إلى إنقراض هذا الكون وانتهاء هذه الحياة وقيام الناس لربهم من قبورهم يوم القيامة ﴿من إله غير الله﴾ أي أيُّ إله غير الله ﴿يأتيكم بليل تسكنون فيه﴾ فتخلدون إلى الراحة بالنوم والسكون وعدم الحركة فيه، وإذا قلتم لا أحد يأتينا بليل نسكن فيه إذاً فما لكم لاتبصرون هذه الآيات ولا تسمعون ماتحمله من الأدلة والحجج القواطع القاضية بأنه لا إله إلا الله، ولا معبود بحق سواه. وقوله تعالى: ﴿ومن رحمته جعل[4] لكم الليل والنهار﴾ إذ ليس واجباً عليه ذلك وانما هو فضل منه ورحمة فالليل تسكنون فيه والنهار تتحركون فتبتغون رزقكم من فضل الله، وبذلك تهيؤون للشكر إذا أكلتم أو شربتم أو ركبتم أو نزلتم قلتم الحمد لله، والحمد لله رأس الشكر، كما أن الليل والنهار ظرف للعبادة التي هي الشكر، فالعبادات لاتقع إلا في الليل والنهار، فالصيام في النهار والقيام بالليل والصلاة والصدقات فيهما. وقوله تعالى: ﴿ويوم يناديهم﴾ أي اذكر يارسولنا لهم تنبيهاً وتعليمًا يوم يناديهم الرب تبارك وتعالى فيقول لهم: ﴿أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ أنهم شركاء لي فعبدتموهم، وهل يرجى أن يجيبوا لا، لا، وانما هذا السؤال ونظائره هو سؤال تبكيت وتأنيب وتوبيخ وهو نوع من العذاب النفسي الذي هو أشد من العذاب الجسمي. وقوله تعالى: ﴿ونزعنا من[5] كل أمة شهيداً﴾ أي وأذكر لهم هذا الموقف من مواقف القيامة الصعبة ﴿ونزعنا﴾ أي أحضرنا ﴿من كل أمة شهيداً﴾ يشهد عليها وهو

---

(١) حقق الهمزة من (أرأيتم) حفص، وخففها ورش فقلبها ألفاً تخفيفاً (أرايتم).

(٢) (سرمداً) أي: دائماً. قال طرفة بن العبد.

لعمرك ما أمري عليّ بغمّةٍ نهاري ولا ليلي عليٌ بسرمد

(٣) أي: بنهار تبصرون فيه معايشكم ويصلح فيه ثماركم ونباتاتكم.

(٤) فيه تصريح بأنّ الليل بما يحصل فيه من سكون وراحة للأبدان والعقول من الهم والتفكير، والنهار بما يحصل فيه من عمل ونشاط للكسب وتحصيل الرزق نعمة الله على العباد اقتضتها رحمته بهم فله الحمد وله المنّة.

(٥) أعيد هذا الموقف مرة أخرى ليذكر فيه حالاً لم تذكر في الأول وهي: إشهاد الأنبياء على أممهم، وفي هذا تقرير للنبوة المحمدية إذ هذه الآية كآية (وجئنا بك على هؤلاء شهيداً).

نبيها، ويشهد الرسول أنه بلغ ونصح وأنذر، ويقال لهم : ﴿هاتوا برهانكم﴾[1] على صحة ماكنتم تعبدون وتدعون. قال تعالى : ﴿فعلموا أن الحق لله﴾ أي تبين لهم أن الحق لله أي أن الدين الحق لله فهو المستحق لتأليه المؤلهين وطاعة المطيعين وقربات المتقربين لا إله غيره ولا رب سواه.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ اشارة علمية إلى أن السماع يكون مع السكون وقلة الضجيج، وأن الإبصار يكون مع الضوء، ولايتم مع الظلام بحال من الأحوال.

٢ ـ البرهنة القوية على وجوب توحيد الله إذ لارب يدبر الكون سواه.

٣ ـ كون النهار والليل ظرفان للسكون وطلب العيش هما من رحمة الله تعالى أمر يقتضي شكر الله تعالى بحمده والاعتراف بنعمته وطاعته بصرف النعمة فيما يرضيه ولايسخطه.

٤ ـ بيان أهوال القيامة، بذكر بعض المواقف الصعبة فيها.

٥ ـ إذا كان يوم القيامة بطل كل كذب وقول ولم يبق إلا قول الحق والصدق.

۞ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ

(١) (هاتوا) أحضروا، والأمر مستعمل هنا للتعجيز إذ هم عاجزون عن الاتيان بأدنى حجة عن صحة شركهم وكفرهم بلقاء ربهم، فعاب عليهم ما كانوا يكذبونه من الادعاءات الفارغة من أن أصنامهم تشفع لهم.

وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾

شرح الكلمات :

إن قارون كان من قوم موسى : أي ابن عم موسى عليه السلام .

فبغى عليهم : أي ظلمهم واستطال عليهم .

ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة : أي أعطاه الله من المال مايثقل عن الجماعة حمل مفاتح خزائنه .

لاتفرح إن الله لايحب الفرحين : أي لاتفرح فرح البطر والأشر .

وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة : أي اطلب فى المال الذى أوتيته الدار الآخرة بفعل الخيرات .

على علم عندي : أي لعلم الله تعالى بأنى أهل لذلك .

وأكثر جمعاً : أي للمال .

ولايسأل عن ذنوبهم المجرمون : أي لعلم الله تعالى بهم فيدخلون النار بدون حساب .

معنى الآيات :

هذا بداية قصص[1] قارون الباغي ، وهو قارون ابن يصهر بن قاهَثْ بن لاوى بن يعقوب ابن اسحق بن إبراهيم عليه السلام . فهو ابن عم موسى بن عمران وابن خالته أيضاً وكان يلقب المنور لحسن صورته ، ونافق كما نافق السامري المطرود . قال تعالى في ذكر خبره ﴿إن قارون[2] كان من قوم موسى﴾ أي إسرائيلي ابن عم موسى بن عمـران الـرسول . ﴿فبغى عليهم﴾ أي على بني إسرائيل أي ظلمهم وطغى عليهم ، ولعل فرعون كان قد أسند إليه إمارة على بني إسرائيل فأطغته وملك أموالاً كثيرة ففرته وألهته . وقوله تعالى : ﴿وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء[3] بالعصبة[4] أولي القوة﴾ . وهذا الخبر الإلهي دليل على ماكان للطاغية

---

(١) هذا استئناف ابتدائي لذكر قصة لها مغزاها ونتائجها من الموعظة والذكرى.

(٢) ومعزى هذا القصص أولاً : تقرير النبوة المحمدية إذ مثل هذا لا يقصه غير من يوحي إليه بحال. ثانيا : تضمن القصص الرد على المعجبين بالمال ومتاع الحياة الدنيا وبيان نهايتهم المؤلمة ، وثالثاً : عرض مشابه لموقف أصحاب الرسول ﷺ مع أغنياء مكة وهم يتطاولون عليهم بالمال والجاه. كما كان قارون مع ضعفة بني اسرائيل وفي ذلك عظة للمؤمنين وذكرى للكافرين.

(٣) (ما إن مفاتحه) الأكثرون على أنّ (ما) موصول ، وصلتها جملة : (إنّ مفاتيحه) وأنكر بعض أن تبتدي الصلة بحرف إنّ فقالوا : (ما) موصوفة وما بعدها في محل الصفة ، والمفاتيح : جمع مفتح بكسر الميم : اسم آلة الفتح .

(٤) (تنوء) : من ناء بالشيء ينوء ثقل عليه ، والباء : في (بالعصبة) للمصاحبة ، وليست للسببية ، إذ هي كما في قول امرىء القيس :

وأردف أعجازاً وناء بكلكل

والعصبة : الجماعة من الخمسة إلى العشرة فأكثر.

قارون من أموال بحيث أن المفاتح تثقل كاهل العصبة أي الجماعة من الرجال لو حملوها كلها وذلك لثقلها. وقوله تعالى: ﴿إذ قال له قومه﴾ أي من بني إسرائيل واعظين له مذكرين ﴿لاتفرح﴾ أي بأموالك فرح الأشر البطر، ﴿إن الله لايحب الفرحين﴾ أي الأشرين البطرين الـذين يختالون ويتفاخرون ويتكبرون. ﴿وابتغ﴾ أي اطلب ﴿فيما آتاك الله﴾ من أموال ﴿الدار الآخرة﴾ بأن تصدّقْ منها وأنفقْ فى سبيل الله كبناء مسجد أو مدرسة أو ميتم أو ملجأ إلى غير ذلك من أوجه البر والإحسان. ﴿ولاتنس نصيبك[1] من الدنيا﴾ فكل واشرب والبس واركب واسكن ولكن فى غير اسراف ولامخيله، ﴿وأحسن﴾ عبادة الله تعالى وطاعته وأحسن إلى عباده بالقول والعمل ﴿كما أحسن﴾ أي الله تعالى إليك ﴿ولاتبغ الفساد في[2] الأرض﴾ بترك الفرائض وارتكاب المحرمات. ﴿إن الله لايحب المفسدين﴾ ومن لم يحبه الله أبغضه ومن أبغضه عذبه في الدنيا والآخرة فبعد هذه الموعظة من قومه الصالحين أهل العلم والبصيرة رَدَّ هذا الـطاغية قارون بما أخبر به تعالى عنه في قوله في الآية (٧٨) ﴿قال إنما أوتيته على علم عندي﴾ أي لاتهددوني ولاتخوفوني بسلب مالي عني إن أنا لم أُحْسن فإن هذا المال ﴿قد أوتيته﴾ أي آتانيه الله على علم[3] منه بأني أهل له ولذا أعطاني وزاد عطائى وأكثره قال تعالى في الرد عليه في زعمه هذا ﴿أو لم يعلم﴾ أي أيقول مايقول من الزعم الكاذب ولم ﴿يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً﴾، كعاد وثمود وقوم إبراهيم فلو كان كثرة المال دليلاً على حب الله ورضاه عن أهله، ما أهلك عاداً وثموداً وقوم نوح من قبل وكانوا أشد قوة وأكثر مالاً ورجالاً وقوله تعالى: ﴿ولا يسأل[4] عن ذنوبهم المجرمون﴾ أي إذا أكثر العبد من الإجرام بالشرك والمعاصي حق عليه كلمة العذاب وآن أوان عذابـه لايسأل عن ذنوبه بل يؤخذ فجأة كما أن هؤلاء المجرمين سيدخلون النار بغير حساب فلا يسألون ولايحاسبون. قال تعالى: ﴿يعرف المجرمون بسيماهم[5] فيؤخذ بالنواصي والأقدام﴾ أي ويُرْمَون في جهنم ويقال لهم: ﴿هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون[6]﴾.

---

(١) أشار ابن عمر إلى هذا القول في قوله: احرث لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً. ومن تأولها بالعمل للآخرة فقط شاهده قول الشاعر:

مما تجمع الدهر كله ... رداءان تلوى فيهما وحنوط

(٢) الفساد في الأرض يكون بفعل المعاصي الجامعة لترك الفرائض واتيان الكبائر.

(٣) وقال ابن زيد: لعلم الله تعالى بفضلي ورضاه عني أي: إنّي أوتيتها باستحقاقي.

(٤) أي: لا يسأل سؤال استعتاب ليتوب أما سؤال التقريع والتوبيخ فلا مانع منه، وذلك كقوله تعالى: (ولا يستعتبون) وقوله (وما هم بمعتبين).

(٥) (سيماهم) إنهم سود الوجوه زرق العيون.

(٦) المجرمون: هم الذين أجرموا على أنفسهم أي: خبّثوها بكثرة ما يرتكبون من الجرائم كالكفر والظلم وكبائر الذنوب، كالقتل ظلماً وأكل الربا وتعاطي الخمور والزنى.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ المال والمنصب العالي عرضة لإفساد المرء إلا من رحم الله عز وجل وقليل ماهم .

٢ ـ حرمة الفرح بالمال والإمارة إذا كان الفرح فرح بطر وفخر واعتزاز وكبر وخيلاء .

٣ ـ من فضل الله على الأمة أن يوجد فيها عالمون ينصحون ويرشدون ويوجهون .

٤ ـ من الحزم للمرء أن يطلب من المال والجاه والمنصب أعلى الدرجات في الجنة .

٥ ـ حلّية الأكل من الطيب والشرب من الطيب واللبس والركوب والسكن من غير إسراف ولاخيلاء ولا كبر.

٦ ـ العافية والمال وعز السلطان يصاب صاحبها بالاغترار إلا من رحم الله

فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾

شرح الكلمات :

في زينته : أي لباس الأعياد والحفلات الرسمية .

ياليت لنا مثل ماأوتي قارون : أي تمنوا أن لو أعطوا من المال والزينة ما أعطي قارون .

إنه لذو وحظ عظيم : أي إنه لذو بخت ونصيب وهبه الله إياه في كتاب المقادير .

وقال الذين أوتوا العلم : أي اعطوا العلم الديني بمعرفة الله والدار الآخرة وموجبات السعادة والشقاء .

ويلكم : أي حضر ويلكم وهلاككم بتمنيكم المال وزخرف الدنيا .

ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً : أي ماعند الله من جزاء للمؤمنين العاملين الصالحات وهو الجنة خير من حطام الدنيا الفاني .

ولا يلقاها إلا الصابرون : أي ولايوفق لقول هذه الكلمة وهي ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً إلا الصابرون على الإيمان والتقوى .

فخسفنا به وبداره الأرض : أي أسخنا الأرض من تحته فساخت به وبداره وكل من كان معه فيها من أهل البغي والإجرام .

تمنوا مكانه بالأمس : أي الذين قالوا ياليت لنا مثل ما أوتي قارون فالمراد من المكان المكانة وما عليه قارون من الامارة والزينة والمال والجاه .

ويكأنَّ الله يبسط : أي أعجبُ عالماً أن الله يبسط الرزق لمن يشاء .

ويقدر : أي يضيّق .

ويكأنه لايفلح الكافرون : أي أعجبُ عالماً أنه لايفلح الكافرون أي أنهم لايفوزون بالنجاة من النار ودخول الجنان كما يفوز المؤمنون .

معنى الآيات :

مازال السياق في قصص قارون الباغي قال تعالى ﴿فخرج على قومه﴾[1] أي قارون في يوم عيد أومناسبة خرج على قومه وهم يشاهدون موكبه ﴿في زينته﴾ الخاصة من الثياب والمراكب . قوله تعالى : ﴿قال الذين يريدون الحياة الدنيا﴾ أي من قوم موسى وهم المفتونون بالدنيا وزخرفها من أهل الغفلة عن الآخرة وما أكثرهم اليوم وقبل وبعد اليوم قالوا ما أخبر الله تعالى به عنهم : ﴿ياليت لنا مثل ما أوتي قارون﴾ تمنوا أن يكون لهم مثل الذي أوتي قارون من المال والزينة ﴿إنه لذو حظ[2] عظيم﴾ أي بخت ونصيب ورزق ﴿وقال الذين أوتوا العلم﴾ أي الشرعي[3] الديني العالمون بالدنيا والآخرة . وأسباب السعادة والشقاء في كل منهما قالوا ما أخبر تعالى به عنهم في قوله : ﴿ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً﴾ أي ويحكم هلكتم إن كنتم تؤثرون هذا الفاني على الباقي ﴿ثواب الله﴾ وهو الجنة خير من هذا الزخرف الفاني ﴿لمن آمن وعمل صالحاً﴾ ولازم ذلك أنه ترك الشرك والمعاصي ، وقوله تعالى : ﴿ولا يلقاها﴾ أي[4] هذه الجملة من الكلام : ﴿ثواب الله خير لمن آمن﴾ بربه ﴿وعمل صالحاً﴾ في حياته بأداء الفرائض والنوافل وترك المحرمات والرذائل أي ولا يلقى هذه الكلمة ﴿إلا الصابرون﴾ من أهل الإيمان والتقوى هم الذين يلقنهم الله إياها فيقولونها لصفاء أرواحهم وزكاة أنفسهم وقوله تعالى في الآية (٨١) ﴿فخسفنا به[5] وبداره الأرض﴾ يخبر تعالى أنه خسف بقارون وبداره الأرض انتقاماً منه لكفره ونفاقه وبغيه وكبريائه . وقوله تعالى ﴿فما كان له من فئة﴾ أي جماعة ﴿ينصرونه من دون الله﴾ لما أراد الله خذلانه بخسف الأرض به وبداره ومن فيها من أعوانه الظلمة والمجرمين . ﴿وما كان من المنتصرين﴾ أي لنفسه فنجاها مما حل بها من الخسف في باطن الأرض التي مازال يتجلجل فيها إلى يوم القيامة . وقوله تعالى : ﴿وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس[6]﴾ يخبر تعالى

---

(١) لم تؤثر فيه موعظة واعظيه ولم ينتفع منها بشيء لظلمة نفسه وقساوة قلبه لما ران عليه من الذنوب فخرج في مظهر الكبرياء والتحدي .

(٢) الحظ : القسم الذي يُعطاه المقسوم له .

(٣) في الآية دليل قوي على أنّ الجهل بالله وشرائعه ووعهد ووعيده هو سبب كل شر وفساد في الأرض ، وأنّ العلم بذلك هو سبيل الإصلاح في الأرض .

(٤) (يلقاها) الضمير عائد على ما دلّ عليه قولهم : (ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً) وهو هذه الموعظة ، ولا يلهمها وتلقى في روعه وينطق بها إلاّ أهل الصبر على الطاعات وعن المعاصي فتصفو لذلك نفوسهم فيلهمون مثل هذه الموعظة .

(٥) الفاء هنا : للترتيب والتعقيب فقد خسف به يوم خروجه في زينته .

(٦) أي : تمنوا منزلته بين الناس ، وهي منزلة المال والترف والجاه والرفعة ومعنى : مكانه : ما كان عليه من منزلة العلو والرفعة .

عن الذين قالوا يوم خرج عليهم قارون في زينته ياليت لنا مثل ما أُوتي قارون يخبر تعالى عنهم أنهم لما شاهدوا الخسف الذي حل بقارون وبداره قالوا ويكأن الله يبسط[1] الرزق لمن يشاء أي نعجب عالمين، أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر[2] أي على من يشاء فالبسط والقبض كله لله وبيد الله فما لنا لا نفزع إلى الله نطلب رضاه ولا نتمنى ماتمنيناه وقد أصبح ذَاهِباً لا يرى بعين ولا يلمس بيدين، ﴿لولا أن منَّ الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون[3]﴾ أي نعجب أيضاً عالمين بأنه لا يفلح الكافرون كقارون وفرعون وهامان أي لا يفوز الكافرون لا بالنجاة من العذاب ولا بدخول الجنان.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ بيان أن الفتنة أسرع إلى قلوب الماديين أبناء الدنيا والعياذ بالله تعالى

٢ ـ بيان موقف أهل العلم الديني وأنهم رُشَّد أي حكماء يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

٣ ـ بيان أن البغي يؤخذ به البغاة في الدنيا ويعذبون به في الآخرة.

٤ ـ بيان أن وجود الإيمان خير من عدمه وإن قل وأن ذا الإيمان أقرب إلى التوبة ممن لا إيمان له.

تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾

---

(١) (ويكأن الله) قيل: ويكأن: مركبة من وي وهو اسم فعل بمعنى أعجب وكاف الخطاب وأنّ الناصبة، ومعنى الكلام: أعجب يا هذا من بسط الرزق لمن شاء، قال عنترة، والشاهد في قوله: ويك، قال:

ولقد شفا نفسي وأبرأ سُقمها   قيل الفوارس ويك عنتر أقدم

وذهب بعض إلى أنّ أصل ويك: ويلك إعلم أنه كذا فحذفت اللام والفعل، فصارت ويك.

(٢) أي: يضيق الرزق ولا يوسعه.

(٣) أي: لولا أن منّ الله فعافانا مما ابتلى قارون به من المال والظلم والطغيان لحل بنا ما حل به من الخسف والخسران.

شرح الكلمات :

تلك الدار الآخرة	: أي الجنة، دار الأبرار.
لايريدون علواً في الأرض	: أي بغياً ولا استطالة على الناس.
ولافساداً	: أي ولايريدون فساداً بعمل المعاصي.
والعاقبة	: أي المحمودة في الدنيا والآخرة.
للمتقين	: الـذين يتقـون مسـاخط الله فلا يعتقـدون ولا يقـولـون ولايعملون مالا يرضى به الله تعالى.
من جاء بالحسنة	: أي يوم القيامة والحسنة: أثر طاعة الله تعالى يجزى به المؤمن.
فله خير منها	: أي تضاعف له عشرة أضعاف.
ومن جاء بالسيئة	: السيئة أثر معصية الله تعالى يعاقب به العبد إذا لم يعف الله تعالى عنه.

معنى الآيات :

لقد تقدم في السياق أن ثواب الله وهو الجنة خير لمن آمن وعمل صالحاً فأشار إليه تعالى بقوله ﴿تلك الدار الآخرة﴾[1] التي هي الجنة إذ هي آخر دار يسكنها المتقون فلا يخرجون منها. نجعلها، هذا هو الخبر عن قوله تلك الدار الآخرة فأخبر تعالى أنه يجعلها مأوى ومسكناً للذين لايريدون[2] علواً في الأرض ولا فساداً، لايريدون استطالة على الناس وتعالياً وتكبراً عليهم وبغياً، ولافسـاداً بارتكـاب المعـاصي كالقتـل والزنا والسرقة وشرب الخمر، وقوله تعالى: ﴿والعاقبة للمتقين﴾[3] أي والعاقبة المحمودة في الدارين لأهل الإيمان والتقوى وهم المؤمنون الذين يتقون مساخط الله عز وجل، وذلك بفعل المأمورات واجتناب المنهيات. وقوله تعالى: ﴿من جاء﴾ أي يوم القيامة ﴿بالحسنة﴾ وهي الطاعات لله ورسوله ﴿فله﴾ جزاء مضاعف الحسنة بعشر أمثالها وقد تُضاعف إلى أكثر بشرط أن لاتكون حسنة أعطيت له من حسنـات ظالم في الـدنيا فهذه لاتتضاعف. إذ تضاعف الحسنة التي باشرها، كما

---

(١) الجملة ابتدائية وهو بدء مشوق، قرأ الفضل بن عياض هذه الاية ثم قال: ذهبت الأماني ها هنا أي: أماني الذين يزعمون أنه لا يضر مع الإيمان شيء، وأن المؤمنين كلهم ناجون من العقاب.

(٢) روى سفيان بن عيينة أن عليا بن الحسين وهو راكب مرّ على مساكين يأكلون كِسرا لهم فسلم عليهم فدعوه إلى طعامهم فتلا هذه الآية: (تلك الدار الآخرة..) إلى (فساداً) ثم نزل وأكل معهم.

(٣) الجملة تذييلية تقرر حقيقة أخرى وهي الإشارة بالتقوى والعاقبة المحمودة في الدارين لأهل التقوى.

لاتضاعف حسنة من همَّ بحسنة ولم يعملها فإنها تكتب له حسنة ولاتضاعف لعدم مباشرته إياها وقوله ﴿ومن جاء بالسيئة﴾ أي يوم القيامة. والسيئة أثر معصية الله تعالى ورسوله في نفسه ﴿فلا يجزى﴾ إلا مثلها أي لاتضاعف عليه وذلك لعدالة الله تعالى ورأفته بعباده، وهو معنى قوله تعالى ﴿فلا يجزى الذين عملوا السيئات﴾ من الشرك والمعاصي ﴿إلا ماكانوا يعملون﴾ أي في الدنيا إذ هي دار العمل والآخرة دار الجزاء.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ حرمة التكبر والاستطالة على الناس، والعمل بالمعاصي، وأنه الفساد في الأرض.

٢ ـ بيان فضل الله ورحمته وعدله بين عباده بمضاعفة الحسنات وعدم مضاعفة السيئات.

٣ ـ العاقبة الحسنى وهي الجنة لأهل الإيمان والتقوى.

إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

شرح الكلمات :

إن الذي فرض عليك القرآن : أي الله الذي أنزل عليك القرآن وفرض عليك قراءته والعمل بما فيه وتبليغه

لرادك إلى معاد : أي لمرجعك إلى مكة فاتحاً إذ معاد الرجل بلده الذي يعود إليه.

وماكنت ترجو	: أي تأمل أن ينزل عليك القرآن ويوحى به إليك.
إلا رحمة من ربك	: لكن برحمة من الله وفضل أنزله عليك.
فلا تكونن ظهيراً	: أي فمن شكر هذه النعمة أن لاتكون معيناً للكافرين.
ولايصدنك	: أي لايصرفنك عن العمل بآيات الله بعد أن شرفك الله بإنزالها عليك.
وادع إلى ربك	: أي ادع الناس إلى الإيمان بالله وعبادته وترك الشرك به.
ولاتدع مع الله إلهاً آخر	: أي لاتعبد مع الله إلهاً آخر بدعائه والذبح والنذر له.
كل شيء هالك	: أي فانٍ.
إلا وجهه	: أي إلا الله سبحانه وتعالى فلا يهلك كما يهلك ماعداه.

معنى الآيات :

تقدم في السياق الكريم الدعوة إلى أصول الدين الثلاثة : التوحيد، النبوة، البعث والجزاء وهذه خاتمة ذلك في هذه السورة الكريمة[1] فقال تعالى : ﴿إن الذي فرض عليك القرآن﴾ أي أنزله عليك وفرض عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه، ﴿لرادك﴾ أي لمرجعك[2] ﴿إلى معاد[3]﴾ وهو العودة إلى مكة بعد خروجك منها واشتياقك إلى العودة إليها وإلى الجنة بعد وفاتك لأنك دخلتها ليلة عُرج بك إلى السماء وفي هذا تقرير لنبوته ﷺ بالوحي إليه، وقوله تعالى : ﴿قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين﴾ فإنه تعليم له ﷺ بما يرد به على المشركين الذين اتهموه بأنه ضال في دعوته وخروجه عن دين آبائه وأجداده علّمه أن يقول لهم ربي أعلم بمن جاء بالهدى وهو أنا، رسول الله، ومن هو في ضلال مبين وهو أنتم أيها المشركون. وقوله ﴿وماكنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب﴾ أي وما كنت يامحمد تأمل أن ينزل عليك القرآن، وذلك قبل بعثته ﷺ، وقوله ﴿إلا رحمة من[4] ربك﴾ أي لكن رحمة ربك عليك اقتضت إنزاله عليك لتكون رسول الله للعالمين، وهي نعمة كبيرة وإفضال عظيم فاشكره بما يلي :

(١) ﴿فلا تكونن ظهيراً للكافرين﴾ أي عوناً لهم بحال من الأحوال.

---

(١) ختمت هذه السورة المكية بخاتمة نزلت بالمدينة، وهي بشرى له ﷺ بأن مردهُ إلى مكة فاتحاً قاهراً غالباً وحقق الله تعالى له ذلك فبعد ثمان سنوات من هجرته ظهر مصداق هذه البشرى.

(٢) مرجعك : اسم فاعل من أرجعه الرباعي فهو مرجع له.

(٣) وفسّر المعاد بالجنة لأنه دخلها ليلة المعراج، وأخرج منها وبقيت نفسه ملتصقة بها فبشر بأن الله تعالى سيرده إليها.

(٤) الاستثناء منقطع لذا فسّر بلكن.

(٢) ﴿ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك﴾ فتترك تلاوتها وإبلاغها والعمل بها. وفي هذا تقرير للنبوة المحمدية.
(٣) ﴿وادع إلى ربك﴾ ادع الناس إلى توحيد ربك والعمل بشرعه.
(٤) ﴿ولاتكونن من المشركين﴾ أي فتبرأ منهم ولاترضى بشركهم وادعهم إلى خلافه وهو التوحيد.
(٥) ﴿ولاتدع مع الله إلهاً آخر﴾ أي لاتعبد مع الله إلهاً آخر لا بالدعاء ولا بالنذر والذبح ولابتقديم أيّ قربان أو طاعة لغير الله سبحانه وتعالى، وفي هذا تقرير للتوحيد وقوله ﴿لا إله إلا هو﴾ تقرير للتوحيد بإبطال أن يكون هناك إله مع الله.

وقوله ﴿كل شيء هالك إلا وجهه[1]﴾ يخبر تعالى أن كل عمل لايراد به وجه الله فهو باطل ذاهب بلا مثوبة عليه. كما أن كل شيء سوى الله عز وجل فانٍ ولم يبق إلا الله سبحانه وتعالى كقوله ﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ ﴿وله الحكم﴾ أي القضاء العادل بين عباده وقوله ﴿وإليه ترجعون﴾ أي بعد الموت للحساب والجزاء يوم بعثكم وحشركم إليه عز وجل، وفي هذا تقرير للبعث والجزاء. والحمد لله أولاً وآخراً.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ معجزة القرآن في وقوع الغيب بعد الإخبار به وذلك حيث عاد الرسول ﷺ إلى مكة بعد الخروج منها.
٢ ـ مشروعية الملاينة في الجدال والمناظرة أثناء الدعوة باستعمال اسلوب التشكيك.
٣ ـ حرمة معاونة الكفار ومناصرتهم لاسيما ضد المؤمنين.
٤ ـ وجوب الثبات والصبر على الدعوة حتى نجاحها ببلوغها الناس واستجابتهم لها.
٥ ـ تقرير التوحيد والبعث والنبوة المحمدية.
٦ ـ فناء كل شيء إلا الله تعالى إلا ماورد الدليل بعدم فنائه وعُدَّ منهُ ثمانية نظمها بعضهم بقوله:

هي العرش والكرسي نار وجنة
وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم

---

(١) قال مجاهد: معناه إلاّ هو، وقال سفيان، وأبو العالية: إلاّ ما أريد به وجهه أي: ما يفعل من الطاعات لأجله، كما قال الشاعر:

استغفر الله ذنباً لست مُحصيه   ربّ العباد إليه الوجه والعمل

سُورَةُ العَنكَبُوتِ

مكيـــة (1)

وآياتها تسع وستون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

شرح الكلمات :

الم : هذه أحد الحروف المقطعة تكتب الٓمٓ وتقرأ ألف لام ميم .

وهم لايفتنون : أي لايختبرون بما يتبين به حقيقة إيمانهم من التكاليف ومنها الصبر على الأذى .

ولقد فتنا الذين من قبلهم : أي اختبرنا من قبلهم إذ هي سنة جارية في الناس .

فليعلمن الله الذين صدقوا : أي في إيمانهم ، وليعلمن الذين كذبوا فيه بما يظهر من أعمالهم .

أن يسبقونا : أي يفوتونا فلا ننتقم منهم .

(1) روي أن الآيات الأولى منها نزلت بالمدينة في شأن من كان من المسلمين بمكة ، وقال علي بن أبي طالب : نزلت بين مكة والمدينة .

ساء مايحكمون	: أي بئس الحكم هذا الذي يحكمون به، وهو حسبانهم أنهم يفوتون الله تعالى ولم يقدر على الانتقام منهم.
من كان يرجو لقاء الله	: أي من كان يؤمن بلقاء الله وينتظر وقوعه فليعلم أن أجله لآت فليستعد له بالإيمان وصالح الأعمال.
ومن جاهد	: أي بذل الجهد في حرب الكفار أو النفس.
فإنما يجاهد لنفسه	: أي منفعة الجهاد من الأجر عائدة على نفسه.
ولنجزينهم أحسن	: أي ولنجزينهم على أعمالهم بأحسن عمل كانوا عملوه.

معنى الآيات :

الٓمٓ : الله أعلم بمراده به وهذا هو مذهب السلف في هذه الحروف وهو تفويض علمها إلى منزّلها عز وجل وقوله ﴿أحسب الناس﴾[1] أي أظن الناس ﴿أن يقولوا آمنا﴾ فيكتفى منهم بذلك و﴿وهم لايفتنون﴾ أي ولايختبرون بل لابد من اختبار بالتكاليف الشاقة كالهجرة والجهاد والصلاة والصيام والزكاة وترك الشهوات والصبر على الأذى. والآية وإن نزلت في مثل عمار بن ياسر وبلال وعياش فإنها عامة إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، واللفظ عام هنا، لأن اسم الجنس إذا دخلت عليه «ال» أفادت استغراق جميع أفراده. وقوله تعالى: ﴿ولقد فتنا الذين[2] من قبلهم﴾ من الأمم السابقة فهي إذاً سنة ماضية في الناس لاتتخلف. وقوله تعالى ﴿فليعلمن الله الذين صدقوا﴾ في إيمانهم أي يظهر ذلك[3] ويعلمه مشاهدة بعد أن عَلِمَه قبل إخراجه إلى الوجود حيث قدر ذلك وكتبه في كتاب المقادير وذلك بتكليفهم وقيامهم بما كلفوا به من

---

(١) قال مجاهد وغيره: نزلت هذه الآية مسلية للمعذبين بمكة المتخلفين عن الهجرة وهم: سلمة بن هشام، وعياش بن ربيعة، والوليد بن الوليد، وعمار بن ياسر، وياسر أبوه وسميّة أمّه إذ كانت صدورهم تضيق بالعذاب وربما استنكر أن يمكن الله الكفّار من المؤمنين.

(٢) روى البخاري عن خباب بن الأرت قال: (شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا له: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال: قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد لحمه وعظمه فما يصرفه ذلك عن دينه، والله ليتمنّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلاّ الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون) وروى ابن ماجه عن سعد بن أبي وقاص قال: قلت يا رسول الله أي الناس أشدّ بلاء؟ قال: (الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلباً اشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقة ابتلى على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة!!).

(٣) وفي الحديث: (من أسرّ سريرة ألبسه الله رداءها) أي: أظهرها عليه.

شاق الأفعال وشاق التروك، إذ الهجرة والجهاد والزكاة أفعال، وترك الربا والزنا والخمر تروك ﴿وليعلمن الكاذبين﴾ حيث ادَّعوا الإيمان ولما ابتلوا بالتكاليف لم يقوموا بها، فبان بذلك عدم صدقهم وإنهم كاذبون في دعواهم أنهم مؤمنون. وقوله تعالى: ﴿أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا﴾[1] أي أظن ﴿الذين يعملون السيئات﴾ من الشرك والمعاصي ﴿أن يسبقونا﴾ أي يفوتونا فلم نأخذهم بالعذاب. ﴿ساء مايحكمون﴾ به لأنفسهم أي قبح حكمهم هذا من حكم لفساده، إذ أقاموه على ظن منهم أن الله تعالى لايقدر عليهم وهو على كل شيء قدير وأنه لايعلمهم وهو بكل شيء عليم. وقوله تعالى: ﴿من كان يرجو لقاء[2] الله فإن أجل الله لآت﴾ أي ﴿من كان﴾ يؤمن ويؤمل لقاء الله وذلك يوم القيامة فليعلم أن أجل الله المضروب لذلك لآت قطعاً وعليه فليستعد للقائه بما يناسبه وهو الإيمان والعمل الصالح بعد التخلي عن الشرك والعمل الفاسد، ومن هنا دعوى المرء أنه يرجو لقاء ربه ولم يعمل صالحاً يثاب عليه، دعوى لاتصح قال تعالى في سورة الكهف ﴿. . فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولايشرك بعبادة ربه أحداً﴾ (١١٠) وقوله ﴿وهو السميع العليم﴾ أي هو تعالى السميع لأقوال عباده العليم بنياتهم وأعمالهم، فدعوى الإيمان ظاهرة من العبد أو باطنة لاقيمة لها مالم يقم صاحبها الدليل عليها وذلك بالإيمان والجهاد للعدو[3] الظاهر والباطن. وقوله تعالى: ﴿ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه﴾ أي منفعة هذه العبادة عائدة على العبد نفسه أما الله عز وجل فهو في غنى عن عمل عباده غِنيٌّ مطلقاً وهذا مادل عليه قوله: ﴿إن الله لغني عن العالمين﴾ الملائكة والإنس والجن وسائر المخلوقات إذ كل ماسوى الله تعالى عالم ويجمع على عوالم وعالمين.[4] وقوله تعالى: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم﴾ هذا وعد من الله تعالى لمن آمن من عباده وذلك على إيمانه وصالح عمله فعلاً وتركا بأنه يكفر عنه سيئاته التي عملها قبل الإسلام وبعده. ومعنى يكفرّها عنهم يغطيها ويسترها ولم يطالبهم بها كأنهم لم يفعلوها .وقوله ﴿ولنجزينهم﴾ أي على أعمالهم الصالحة ﴿أحسن﴾ أي بأحسن عمل عملوه فتكون أعظم ماتكون مضاعفة. وهذا من تكرمه على عباده الصالحين ليجزي بالحسنة أضعافها مئات المرات.

---

(١) قال ابن عباس: المراد بهم: الوليد بن المغيرة، وأبو جهل والأسود بن العاص بن هشام وشيبة وعتبة والوليد بن عتبة وعقبة بن أبي معيط وحنظلة بن أبي سفيان والعاص بن وائل.

(٢) قال القرطبي: أجمع أهل التفسير على أنّ المعنى من كان يخاف الموت فليعمل عملاً صالحاً فإنه لابد أن يأتيه.

(٣) المراد بجهاد العدو الظاهر الكفار والباطن النفسي.

(٤) جمع ملحق بمذكر سالم نحو: الحمد لله رب العالمين.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - بيان سنة أن الإيمان يصدق بالأعمال أو يكذب.

٢ - بيان إمكان التكليف بما يشق على النفس فعله أو تركه ولكن ليس بما لا يطاق.

٣ - تحذير المغترين من العقوبة وإن تأخرت زمناً ما فإنها واقعة لا محالة.

٤ - ثمرة الجهاد عائدة على المجاهد نفسه. فلذا لا ينبغي أن يمنها على الله تعالى بأن يقول فعلت وفعلت.

٥ - تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر الوعد للذين آمنوا وعملوا الصلحات بتكفير السيئات والجزاء الأحسن وهذا يتم يوم البعث.

وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا[1] وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا

---

(١) يصح إعراب (حسنا) على أنه منصوب على نزع الخافض أي: بالحسن، نحو: وصيته خيراً، أي: بالخير، ويصح أيضاً أن يكون العامل محذوفاً تقديره ووصينا الإنسان بوالديه أن يفعل بهما حسناً، كما قال الشاعر:

عجبت من دهماء إذ تشكونا ومن أبي دهماء إذ يوصينا
خيراً بها كأنما خافونا

أي يوصينا أن نفعل بها خيراً

وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿١٣﴾

شرح الكلمات :

ووصينا الانسان : أي عهدنا إليه بطريق الوحي المنزل على رسولنا.

بوالديه حسناً : أي إيصاءً ذا حسن، وذلك ببرهما وعدم عقوقهما.

وإن جاهداك : أي بذلا الجهد في حملك على أن تشرك.

لندخلنهم في الصالحين : أي لندخلنهم مدخلهم في الجنة.

فتنة الناس : أي أذاهم له.

كعذاب الله : أي في الخوف منه فيطيعهم فينافق.

إنا كنا معكم : أي في الإيمان وإنما أكرهنا على ماقلنا بالسنتنا.

إتبعوا سبيلنا : أي ديننا ومانحن عليه.

ولنحمل خطاياكم : أي ليكن منكم اتباع لسبيلنا وليكن منا حمل لخطاياكم، فالكلام خبر وليس إنشاء.

وليحملن أثقالهم : أي أوزارهم، والأوزار الذنوب.

وأثقالاً مع أثقالهم : أي من أجل قولهم للمؤمنين اتبعوا سبيلنا.

عما كانوا يفترون : أي يكذبون.

معنى الآيات :

هذه الآيات نزلت[1] في شأن سعد بن أبي وقاص لما أسلم قالت له أمه حمنة بنت أبي سفيان ماهذا الدين الذي أحدثت والله لا آكل ولا أشرب حتى ترجع إلى ماكنت عليه أو أموت فتُعَيَّـر بذلك أبد الدهر يقال ياقاتل أمه، ثم إنها مكثت يوماً وليلة لم تأكل ولم تشرب ولم

(١) روى مسلم وغيره عن سعد بن أبي وقاص أنه قال: نزلت في أربع آيات فذكر قصته قال: قالت أم سعد: أليس الله قد أمرك بالبر؟ والله لاأطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أموت أو تكفر، قال: فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا فاها فنزلت هذه الآية.

تستظل فأصبحت وقد جهدت ثم مكثت يوماً آخر وليلة لم تأكل ولم تشرب فجاء سعد إليها وقال : يا أماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ماتركت ديني فكلي إن شئت وإن شئت فلا تأكلي ، فلما أيست منه أسلمت وأكلت وشربت فأنزل الله هذه الآية ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسناً﴾ أي عهدنا إليه بواسطة الرسل إيصاءً ذا حسن وهو برهما بطاعتهما في المعروف وترك أذاهما ولو قل ، وإيصال الخير بهما من كل ماهو خير قولاً كان أو فعلاً . وقوله تعالى : ﴿وإن جاهداك﴾ أي بذلا جهدهما في حملك على أن تشرك بي شيئا من الشرك أو الشركاء فلا تطعهما كما فعل سعد بن أبي وقاص مع والدته في عدم إطاعتها . وقوله ﴿إليّ مرجعكم﴾ أولاداً ووالدين ﴿فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾ وأجزيكم به فلذا قدموا طاعتي على طاعة الوالدين، فإني أنا الذي أحاسبكم وأجزيكم بعملكم أنتم وإياهم على حد سواء . وقوله تعالى : ﴿والذين آمنوا﴾ أي بالله ورسوله ﴿وعملوا الصالحات﴾ التي هي العبادات التي تَعَبَّد الله تعالى بها عباده المؤمنين، فشرعها لهم وبينها رسوله ﷺ كالذكر وقراءة القرآن والصلاة والصيام والصدقات والجهاد والحج وما إلى ذلك . هؤلاء الذين جمعوا بين الإيمان الحق والعمل الصالح الخالي من الشرك والرياء . يقسم الله تعالى أنه يدخلهم في مدخل الصالحين وهم الأنبياء والأولياء في الجنة دار السلام . وقوله تعالى : ﴿ومن الناس[1] من يقول آمنا بالله﴾ الآية هذه نزلت في أناس كانوا بمكة وآمنوا وأعلنوا عن إيمانهم فاضطهدهم المشركون فكانوا ينافقون فأخبر تعالى عنهم بقوله : ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله﴾ أي آذاه المشركون نافق وارتد ﴿جعل فتنة الناس﴾ أي أذاهم له وتعذيبهم إياه ﴿كعذاب الله﴾ يوم القيامة فوافق المشركين على الكفر. وقوله تعالى : ﴿ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم﴾ أي على الإيمان وإنما كنا مكرهين وهذه نزلت فيمن خرجوا من مكة إلى بدر مع المشركين لما انهزم المشركون وانتصر المسلمون وأسروا قالوا ﴿إنا كنا معكم﴾ أي على الإيمان فرد تعالى دعواهم بقوله ﴿أو ليس[2] الله بأعلم بما في صدور العالمين﴾ أي الناس. وقوله تعالى : ﴿وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين﴾ تقرير لما سبق في الآية قبل وليترتب عليه الجزاء على الإيمان وعلى النفاق . فعلمه تعالى يستلزم الجزاء العادل فأهل الإيمان يجزيهم بالنعيم المقيم وأهل النفاق بالعذاب المهين. أولئك في دار السلام وهؤلاء في دار البوار. وقوله تعالى : ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا﴾ أي ديننا

---

(١) قال الضحاك هذه الآية نزلت في ناس من المنافقين في مكة كانوا يؤمنون فإذا أوذوا رجعوا إلى الشرك.

(٢) الاستفهام للتقرير فلذا يجاب ببلى.

وما نحن عليه ﴿ولنحمل خطاياكم﴾[1] أي قال رؤساء قريش لبعض المؤمنين اتركو سبيل محمد ودينه واتبعوا سبيلنا وديننا، وإن كان هناك بعث وجزاء كما يقول محمد ﷺ ـ نحن مستعدون أن نتحمل خطاياكم ونجازى بها دونكم فأكذبهم الله تعالى بقوله : ﴿وماهم بحاملين من خطاياهم من شيء﴾ و ﴿إنهم لكاذبون﴾ في قولهم ولنحمل خطاياكم. وقال تعالى مقسماً بعزته وجلاله : ﴿وليحملن أثقالهم﴾ أي أوزارهم ﴿وأثقالاً مع أثقالهم﴾ أي وأوزاراً أي ذنوباً مع أوزارهم التي هي ذنوبهم وذلك من أجل ما قالوا لهم. ﴿وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون﴾ أي يكذبون من أنهم يحملون خطايا المؤمنين يوم القيامة﴾.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ وجوب بر الوالدين في المعروف وعدم طاعتهما فيما هو منكر كالشرك والمعاصي.

٢ ـ بشرى المؤمنين العاملين للصالحات بإدخالهم الجنة مع النبيين والصديقين.

٣ ـ ذم النفاق وكفر المنافقين وإن ادعوا الإيمان فما هم بمؤمنين.

٤ ـ بيان ماكان عليه غلاة الكفر في مكة من العتو والطغيان.

٥ ـ تقرير مبدإ من سنَّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها كما في الحديث الصحيح[2].

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾

---

(١) جزم الفعل (ولنحمل) على الأمر، قال الفرّاء والزجّاج : هو في تأويل الشرط والجزاء أي : أن تتبعوا سبيلنا نحمل خطاياكم، كما قال : مدثار بن شيبان الضمري.

تقول خليلتي لما اشتكينا سيدركنا بنو القرم الهجان
فقلت ادعي وأدع فإن أندى لصوت أن ينادىَ داعيان

أي : إن دعوت دعوت.

(٢) نص الحديث كما هو في الصحيح : (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيئا، ومن دعى إلى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من اتبعه إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من آثامهم شيئا)وفي الصحيح أيضاً (ما قتلت نفس ظلماً إلاّ كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أوّل من سنّ القتل).

شرح الكلمات :

ولقد أرسلنا نوحاً	: أي نوحاً بن لَمْكْبن مُتَوشْلخْ بن ادريس من ولد شيث بن آدم، بينه وبين آدم ألف سنة.
فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً	: أي فمكث فيهم يدعوهم إلى الله تعالى تسعمائة وخمسين سنة.
فأخذهم الطوفان	: أي الماء الكثير الذي طاف بهم وعلاهم فأغرقهم.
وهم ظالمون	: أي مشركون.
وجعلناها آية للعالمين	: أي عبرة للناس يعتبرون بها فلا يشركون ولا يعصون.

معنى الآيتين :

لما ذكر تعالى ما كان يلاقيه رسوله والمؤمنون من مشركي قريش ذكر تعالى نوحاً وإبراهيم وكلاهما قد عانى ولاقى مالم يلاقه محمد ﷺ وأصحابه ليكون ذلك تسلية لهم وتخفيفاً عنهم فقال تعالى : ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾[1] وقوم نوح يومئذ هم البشرية جمعاء. إذ لم يكن غيرهم ﴿فلبث فيهم﴾ أي مكث يدعوهم إلى عبادة الله تعالى وتوحيده فيها وترك الأصنام الخمسة التي كانت لهم وهي ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، وكان هؤلاء الخمسة رجالاً صالحين فلما ماتوا بنوا على قبورهم ووضعوا لهم تماثيل بحجة أنها تذكرهم بالله فيرغبوا في الطاعة والعمل الصالح ثم زين لهم الشيطان عبادتهم فعبدوهم فبعث الله تعالى إليهم نوحاً رسولاً فدعاهم إلى عبادة الله وترك عبادة هؤلاء ﴿فلبث فيهم ألف[2] سنة إلا خمسين عاماً﴾ يدعوهم فلم يستجيبوا له ﴿فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر﴾ فاستجاب الله له فأنجاه وأصحاب السفينة وهم المؤمنون وهلك في الطوفان زوجته وولده كنعان وسائر البشر إلا نوحاً

---

(١) روى أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (أوّل نبي أرسل واختلف في سني عمره: فروى عن انس أن النبي ﷺ قال: لمّا بعث الله نوحاً إلى قومه وبعثه وهو ابن لخمسين ومائتي سنة فلبث في قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاماً، وبقي بعد الطوفان خمسين ومائتي سنة فلما أتاه ملك الموت قال: يا نوح يا أكبر الأنبياء وياطويل العمر ويا مجاب الدعوة كيف رأيت الدنيا؟ قال مثل رجل بنى له بيت له بابان فدخل من واحد وخرج من الآخر).

(٢) العدول عن السنة إلى العام حتى لا يحصل تكرار في لفظ السنة وهو من بلاغة الكلام.

ومن معه في السفينة، وكانوا قرابة الثمانين نسمة، وخلف نوحاً ثلاثة أولاد هم سام وهو أبو العرب وفارس والروم وهم الجنس السامي وحام وهو أبو القبط والسودان والبربر ويافث وهو أبـو الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج، هذا معنى قوله تعالى: ﴿فأخذهم الطوفان[1] وهم ظالمون﴾ أي لأنفسهم بالشرك. ﴿فأنجيناه وأصحاب السفينة[2]﴾ ومن بين مافيها أبناؤه الثلاثة سام وحام ويافث ومنهم عمر الكون بالبشر شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً وقوله ﴿وجعلناها[3] آية للعالمين﴾ أي حادثة الطوفان ومنها السفينة ومكث تلك المدة الطويلة مع قلة المستجيبين ﴿آية﴾ أي عبرة ﴿للعالمين﴾ أي للناس ليعتبروا بها فلا يعصوا رسلهم ولا يشركون بربهم هذا إذا اعتبروا وقليل من يعتبر.

هداية الآيتين :

من هداية الآيتين :

١ ـ بيان سنة الله تعالى في ارسال الرسل لهداية الخلق.

٢ ـ بيان قلة من استجاب لنوح مع المدة الطويلة فيكون هذا تسلية لرسول الله ﷺ والدعاة من بعده.

٣ ـ بيان اهلاك الله تعالى الظالمين وإنجائه المؤمنين وهي عبرة للمعتبرين.

وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟

---

(١) الطوفان: مأخوذ من أطاف بالشيء يطيف وهو كطاف يطوف طوفاً وطوفاناً قال النحاس يقال: لكل كثير مطيف بالجميع. من مطر أو قتل أو موت طوفان.

(٢) في البخاري أن قتادة قال: بقيت السفينة على الجودي حتى نظرتها أوائل هذه الأمة. وقيل: إنها دامت إلى أوائل الدولة العباسية ثم غمرتها الثلوج، وكان الجودي الذي رست فوقه قرب (باقِرْدَىٰ) وهي قرية من جزيرة بن عمر بالموصل شرقي دجلة.

(٣) الضمير في: (وجعلناها) عائد إلى السفينة، وما في التفسير أعم وأشمل.

فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾

شرح الكلمات :

وإبراهيم : أي واذكر إبراهيم على قراءة النصب لإبراهيم، وعلى قراءة الرفع: ومن المرسلين إبراهيم.

اعبدوا الله واتقوه : أي آمنوا به ووحدوه في عبادته واتقوا أن تشركوا به وتعصوه.

أوثاناً : أصناماً وأحجاراً وصُوَراً وتماثيل.

وتخلقون إفكاً : أي تختلقون الكذب فتقولون في الأصنام والأوثان آلهة وتعبدونها.

فابتغوا عند الله الرزق : أي اطلبوا الرزق من الله الخلاق العليم لا من الأصنام والتماثيل المصنوعة المنحوتة بأيدي الرجال بالمعاول والفؤوس.

واعبدوه : أي بالإيمان به وتوحيده واشكروه بطاعته.

وإن تكذبوا : أي ياأهل مكة بعد هذا الذي عرضنا عليكم من الآيات والعبر فقد كذب أمم من قبلكم.

وما على الرسول : أي محمد ﷺ.

إلا البلاغ المبين : وقد بلغ وبين فبرئت ذمته وأنتم المكذبون ستحل بكم نقمة الله.

معنى الآيات :

هذا القصص معطوف على قصص نوح لتسلية الرسول ﷺ والمؤمنين ولتذكير قريش بأنها في إصرارها على الشرك والتكذيب للرسول ﷺ صائرة إلى ماصار إليه المكذبون من قبل إن لم تتب إلى الله وترجع إليه بالإيمان والطاعة وترك الشرك والمعاصي قال تعالى: ﴿وإبراهيم﴾ أي[1] واذكر يارسولنا إبراهيم خليلنا ﴿إذ قال لقومه﴾ البابليين ومن بينهم والده آزرْ ياقوم ﴿اعبدوا الله﴾ أي بتوحيده في عبادته ﴿واتقوه﴾ بترك الشرك والعصيان وإلا حلَّت بكم عقوبته ونزل بكم عذابه وقوله ﴿ذلكم خير لكم﴾ أي الإيمان والتوحيد والطاعة خير لكم من الكفر والشرك والعصيان. إذ الأول يجلب الخير والثاني يجلب الشر ﴿إن كنتم تعلمون﴾ الخير

(١) ويجوز أن يكون منصوبا بـ (أنجينا) معطوفا على الهاء.

والشر وتفرقون بينهما وقوله عليه السلام «إنما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفكاً» يخبرهم معرفاً لهم بخطئهم فيقول ﴿إنما تعبدون[1] من دون الله أوثاناً﴾ أي أصناماً[2] وتماثيل وعبادة الأصنام والأوثان عبادة باطلة لاتجلب لكم نفعاً ولاتدفع عنكم ضراً. إن الذي يجب أن يعبد الله الخالق الرازق الضار النافع المحيي المميت السميع البصير. أما الأوثان فلا شيء في عبادتها إلا الضلال واتباع الهوى. وقوله لهم ﴿وتخلقون إفكاً﴾ أي وتصنعون كذباً تختلقونه اختلاقاً عندما تقولون في التماثيل والاصنام إنها آلهة. وقوله عليه السلام لقومه ﴿إن الذين تعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقاً﴾ يخبرهم عليه السلام معرفاً لهم بحقيقة هم عنها غافلون وهي أن الذين يعبدونهم من دون الله لايملكون لهم رزقاً لأنهم لايقدرون على ذلك فما الفائدة إذاً من عبادتهم وما الحاجة الداعية إليها لولا الغفلة والجهل، ولما أبطل لهم عبادة الأصنام أرشدهم إلى عبادة الله الواحد القهار فقال ﴿فابتغوا عند الله الرزق﴾ إن كنتم عبدتم الأصنام لذلك فإن الله هو الرزاق ذو القوة المتين فاطلبوا عنده الرزق فإنه مالكه والقادر على إعطائه ﴿واعبدوه﴾ بالإيمان به وبرسوله وبتوحيده ﴿واشكروا له[3]﴾ يرزقكم ويحفظ عليكم الرزق وقوله ﴿إليه ترجعون﴾ ذكّرهم بعلة غفلتهم ومَصْدَر جهلهم وهي كفرهم بالبعث فأعلمهم أنهم إليه تعالى لا إلى غيره يرجعون. إذاً فليتعرفوا إليه ويعبدوه طلباً لرضاه واكرامهم يوم يلقونه. وقوله تعالى ﴿وإن تكذبوا﴾ أي يا أهل مكة رسولنا وتنكروا وحينا وتكفروا بلقائنا فلستم وحدكم في ذلك. ﴿فقد كذب أمم من قبلكم﴾ قوم نوح وعاد وفرعون وقوم إبراهيم وأصحاب مدين وغيرهم ﴿وما على الرسول[4]﴾ أي رسولنا محمد ﷺ إلا البلاغ المبين وقد بلغكم وأنتم الآن بين خيارين لا ثالث لهما: الأول أن تتعظوا بما أسمعناكم وأريناكم من آياتنا فتؤمنوا وتوحدوا وتطيعوا فتكملوا وتسعدوا وإما أن تبقوا[5] على إصراركم على الشرك والكفر والعصيان فسوف يحل بكم ماحل بأمثالكم، إذ كفاركم ليسوا بخير من كفار أولئكم الذين انتقم الله منهم وأذاقهم سوء العذاب. هذا مادلت عليه الآية (١٨) وهي معترضة بين الآيات التي اشتملت على قصص

---

(١) إنما: ما: كافة أوثاناً منصوب بـ (تعبدون).

(٢) قال أبو عبيدة: الصنم ما يتخذ من ذهب أو فضة أو نحاس والوثن ما اتخذ من حصى أو حجارة.

(٣) سلك ابراهيم في دعوة قومه هذه سبيل الاستدلال بالنعم الحسية لأنّ إثباتها أقرب إلى أذهان العوام، وعدى الشكر باللام لما تفيده اللام من الاختصاص أي: الاستحقاق.

(٤) القصد من هذه الجملة: (وما على الرسول إلاّ البلاغ المبين) إعلام المخاطبين بأن تكذيبهم لا يلحقه منه ما فيه نكاية به أو تشفٍّ منه، فإن كان من خطاب الله تعالى لقريش فالمراد من الرسول محمد ﷺ، وإن كان من كلام إبراهيم، فالمراد به إبراهيم نفسه سلك فيه مسلك الإظهار في مقام الإضمار تنويعاً للأسلوب.

(٥) أي: والثاني: أن تبقوا على إصراركم أعني الخيار الثاني بعد الأول.

إبراهيم عليه السلام . وسر الاعتراض هو وجود فرصة في سياق الكلام قد تلفت أنظار القوم وتأخذ بقلوبهم إذ الآيات كلها مسوقة لهدايتهم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ وجوب عبادة الله وتقواه طلباً للنجاة من الخسران في الدارين .

٢ ـ بطلان عبادة غير الله ووجوب عبادة الله عن طريق الأدلة العقلية .

٣ ـ ماعبد الناس الأوثان إلا من جهلهم وفقرهم فلذا يجب أن يعلموا أن الله هو ربهم المستحق لعبادتهم وأن الله تعالى هو الذي يسد فقرهم ويرزقهم ومن عداه لايملك ذلك لهم

٤ ـ وجوب شكر الله تعالى بحمده والثناء عليه وبطاعته وصرف النعم فيما من أجله أنعم بها على عبده .

٥ ـ تسلية الرسول ﷺ وتأنيب المشركين من أهل مكة .

أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

شرح الكلمات :

أو لم يروا : أي ينظروا بأبصارهم فيعلموا بقلوبهم .

يبدىء الله الخلق	: أي كيف يخلق المخلوق ابتداء.
ثم يعيده	: أي ثم هو تعالى يعيده بعد بدئه وإفنائه يعيده لأن الإعادة أهون من البدء وقد بدأ وأفنى فهو بالضرورة قادر على الإعادة.
إن ذلك	: أي أن الخلق الأول والثانى هو الاعادة.
على الله يسير	: أي سهل لاصعوبة فيه، فكيف إذاً ينكر المشركون البعث.
قل سيروا في الأرض	: أي قل يارسولنا لقومك المكذبين بالبعث سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الله الخلق وأنشأه، تستدلون بذلك على قدرته عل البعث الآخر.
ثم الله ينشيء النشأة الآخرة	: أي يحيي الناس بعد موتهم وهو البعث الآخر الذي أنكره الجاهلون.
وإليه تقلبون	: أي ترجعون إليه لا إلى غيره أحياء كما كنتم فيحاسبكم ويجزيكم بأعمالكم، الحسنة بخير منها والسيئة بمثلها جزاء عادلاً.
وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء	: أي بغالبين ولا فائتين بالهروب فإن الله غالبكم.
ومالكم من دون الله من ولي ولانصير	: ليس لكم من ولي يتولاكم ولانصير ينصركم من الله تعالى.
يئسوا من رحمتي	: أي من دخول الجنة لأنهم كافرون أعظم كفر وهو التكذيب بالقرآن والبعث الآخر.

معنى الآيات :

مازال السياق في تقرير أصول الدين التوحيد والنبوة والبعث وقد قررت الآيات السابقة أصلي التوحيد والنبوة المحمدية وفي هذه الآيات تقرير الأصل الثالث وهو البعث والجزاء في

الدار الاخرة. قال: ﴿أولم يروا﴾[1] أي أولئك المنكرون للبعث، أيكذبون؟، ولم ينظروا كيف يبدىء الله الخلق أي خلق الإنسان، فإن ذلك دال على إعادته متى أراد الله الخالق ذلك، ثم هو تعالى يعيده متى شاء، ﴿إن ذلك﴾ أي الخلق والإعادة بعد الفناء والبلى ﴿على الله يسير﴾ سهل لايتعذر عليه أبداً.

وقوله تعالى: ﴿قل سيروا في الأرض﴾[2] أي قل يارسولنا للمكذبين بالبعث الآخر ﴿سيروا في الأرض﴾ شرقاً وغرباً ﴿فانظروا كيف بدأ﴾ تعالى خلق تلك المخلوقات التي تشاهدونها من أرض، وسماء، وانهار، وأشجار، وحيوان، وإنسان، إنها كلها كانت عدماً فأنشأها الله تعالى ثم هو سيفنيها ﴿ثم الله ينشيء النشأة الآخرة﴾[3] وذلك بأن يعيد حياة الانسان ليحاسبه على كسبه في الدنيا ويجزيه به خيراً أو شراً، ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾[4] إذاً فلا يستنكر عليه إعادة الناس أحياء بعد نهاية هذه الحياة الدنيا ليحاسبهم ويجزيهم بما كانوا يعملون. وقوله تعالى: ﴿يعذب من يشاء ويرحم من يشاء﴾ هذه فائدة وحكمة البعث الآخرة وهي المجازاة على العمل في هذه الحياة فيعذب أهل الكفر به وبرسوله والذين لم يزكوا أنفسهم بالإيمان وصالح الأعمال فيدخلهم جهنم دار الشقاء والعذاب ويرحم أهل الإيمان والتقوى الذين زكوا أنفسهم بالإيمان والصالحات. وقوله: ﴿وإليه تقلبون﴾ أي إلى الله ربكم ترجعون بعد الموت والفناء وإنشاء النشأة الآخرة وقوله ﴿وما أنتم بمعجزين﴾[5] أي الله تعالى ﴿في الأرض ولافي السماء﴾ بل أنتم مقهورون له خاضعون لسلطانه لايمكنكم الهرب منه ولا الخلاص بحال من الأحوال. وليس لكم من دونه تعالى ولي يتولاكم فيدفع عنكم العذاب ولانصير ينصركم فلا تُغلَبون ولاتُعذبون وقوله تعالى: ﴿والذين كفروا بآيات الله﴾ التي جاءت بها

---

(١) الاستفهام للإنكار والتوبيخ لهم على عدم استعمال عقولهم إذ ينكرون البعث وأمامهم صوّر منه دالة عليه فهو يبدىء الثمار فتحيا ثم تفنى ثم يعيدها أبداً ويخلق المرء ثم يميته بعد أن يخلق منه ولداً ويخلق من الولد ولداً، وهكذا تتكرر عملية البعث أمامهم فما لهم لا يرونها؟!

(٢) هذا الأمر للارشاد والتوجيه والنصح لو كانوا يعقلون.

(٣) أظهر اسم الجلالة بعد تقديم ذكر ضميره في قوله: (كيف بدأ الخلق) ليحرك ضمائرهم باسم الجلالة ويدفع بنفوسهم إلى التسليم بالنشأة الآخرة بعد التسليم بالنشأة الأولى وهي بدء الخلق.

(٤) الجملة تذبيلية أعلن فيها عن قدرة الله الذي لا يعجزه شيء أراده: البدء كالإعادة سواء.

(٥) المعجز: هو الذي يجعل غيره عاجزاً عن فعل ما وهو هنا كناية عن الغلبة والانقلاب، قرّر بهذه الجملة عجزهم التام في الأرض التي هم يسكنونها، وحتى في السماء لو فرض أنهم يرقونها وما هم بأهل لذلك كما قال الأعشى.

فلو كنت في جبّ ثمانين قامة ورقيت أسباب السماء بسلّم

رسله ﴿ولقائه﴾ وهو البعث الآخر الموجب للوقوف بين يدي الله للسؤال والحساب والجزاء هذا إن كان للعبد مايحاسب عليه من الخير، أما إن لم يكن له حسنات فإنه يُلقى في جهنم بلا حساب ولاوزن إذ ليس له من الصالحات مايوزن له ويحاسب به، ولذا قال تعالى: ﴿أولئك﴾ أي المكذبون بآيات[1] الله ولقائه ﴿يئسوا من رحمتي[2]﴾ إذ تكذيبهم بالقرآن مانع من الإيمان والعمل الصالح وتكذيبهم بيوم القيامة مانع لهم أن يتخلوا عن الشرك والمعاصي، أو يعملوا صالحاً من الصالحات لتكذيبهم بالجزاء، فهم يائسون من الجنة. ﴿وأولئك لهم عذاب أليم﴾ أي موجع وهو عذاب النار في جهنم والعياذ بالله تعالى.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ وجوب استعمال العقل للاستدلال على الغائب بالحاضر وعلى المعدوم بالموجود.

٢ ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء وذكر أدلتها التفصيلية.

٣ ـ تقرير عجز الانسان التام وأنه لامهرب له من الله تعالى ربه ومالكه وهي حال تستدعي الفرار إلى الله اليوم بالإيمان والتقوى.

٤ ـ إنذار المكذبين بأنهم إن ماتوا على التكذيب بالبعث لايدخلون الجنة بحال، وسيعذبون فى نار جهنم أشد العذاب.

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾

---

(١) المراد بآيات الله: القرآن الكريم: المشتمل على الأدلة والبراهين والحجج الدالة على قدرة الله وعلمه وحكمته والمفصلة لأنواع عباداته.

(٢) أخبر عن يأسهم بالفعل الماضي تنبيها على تحقيق وقوعه وإن كان المعنى انهم سييأسون من رحمة الله التي هي الجنة لا محالة.

شرح الكلمات :

فما كان جواب قومه : أي قوم إبراهيم عليه السلام .

إلا أن قالوا اقتلوه : أي إلا قولهم اقتلوه أوحرقوه

إن فى ذلك لآيات : أي في كون النار لم تحرق الخليل ويخرج منها سالماً .

لقوم يؤمنون : لأن المؤمنين هم الذين ينتفعون بالآيات لحياة قلوبهم .

أوثاناً مودة بينكم : أي اتخذتم أوثانكم آلهة تتوادون من أجل عبادتها وتتحابون لذلك .

في الحياة الدنيا : أي هذا التوادد والتحاب على الآلهة في الحياة الدنيا فقط أما الآخرة فلا .

يكفر بعضكم ببعض : أي يكفر المتبوعون بأبتاعهم ويتبرأون منهم .

ويلعن بعضكم بعضاً : يلعن الأتباع القادة الذين اتبعوهم في الباطل .

معنى الآيات :

مازال السياق في قصص[1] إبراهيم الخليل عليه السلام فإنه لمَّا أفحمهم بالحجة وبين لهم باطلهم وكشف لهم عن جهلهم وضلالهم لجأوا كعادة الطغاة من أهل الكفر والباطل إلى التهديد بالقوة فقالوا ما أخبر به تعالى عنهم: أى ﴿فما كان جواب قومه﴾ فما كان جوابهم أي عما سمعوا من الحجج والبراهين على بطلان الشرك وصحة التوحيد ﴿إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه[2]﴾ أي إلا قولهم اقتلوا إبراهيم بالسيف ونحوه أو حرقوه بالنار، ونفذوا جريمتهم بالفعل وأوقدوا النار وألقوه فيها، وقال الله جل جلاله للنار ﴿يانار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ فكانت كما أُمرت وخرج إبراهيم سالماً لم تحرق النار سوى كتافه الذي شد به يداه ورجلاه. وهو مادل عليه قوله تعالى ﴿فأنجاه الله من النار﴾ وقوله تعالى ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ أي في كون النار لم تحرق إبراهيم فيتخلف طبعها وتصبح برداً وسلاماً على إبراهيم فلم تحرقه، (آيات) أي دلائل قدرة الله تعالى ورحمته وحكمته ولكن تلك الآيات لاينتفع بها غير المؤمنين، لأنهم أموات لايسمعون ولايبصرون ولايعقلون. أما المؤمنون فهم أحياء فينتفعون بما يسمعون ويبصرون لأن الإيمان بمثابة

---

(١) عاد السياق الكريم إلى الحديث عن قصة إبراهيم بعد تلك الجمل الاعتراضية التي تخللت القصة بقصد إثارة شعور قريش وتحريك ضمائرها رجاء أن تطلب الهداية فتحصل عليها إذ هي المقصودة من سوق القصة.

(٢) ثمّ اتفقوا على تحريقه ونفذوا ما اتفقوا عليه فألقوه في النار ونجّاه الله فله الحمد وله المنة.

الروح في البدن فإن وجد في القلب حيي الجسم وان فارقه فالجسم ميت فلا العين تبصر الأحداث ولا الأذن تسمع الآيات. وقوله : ﴿إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة[1] بينكم في الحياة الدنيا[2]﴾ هذا من جملة قول إبراهيم لقومه وهو يعظهم ويرشدهم فأخبرهم بحقيقة يتجاهلونها وهي أنهم مااتخذوا تلك الأوثان آلهة يعبدونها إلا لأجل التعارف عليها والتوادد والتحاب من أجلها، فيقيمون الأعياد لها ويجتمعون حولها فيأكلون ويشربون لا أنهم حقيقة يعتقدون أنها آلهة وهي أحجار نحتوها بأيديهم ونصبوها تماثيل في سوح دورهم وأمام منازلهم (ويوم القيامة) أي في الأخرة فالعكس هو الذي سيحدث لهم حيث (يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً[3]﴾ أي يكفر المتبوعون وهم الرؤساء بمن اتبعوهم وهم الأتباع من الدهماء وعوام الناس،﴿ويلعن بعضكمبعضاً﴾ كل من الأتباع والمتبوعين يطلب بعد الآخر عنه، وعدم الاعتراف به وذلك عند معاينة العذاب ولم تبق تلك الروابط والصلات التي كانت لهم في هذه الحياة !! وقوله : ﴿ومأواكم[4] النار﴾ أي ومقركم الذي يؤويكم جميعاً فتستقرون فيه هو النار ﴿ومالكم من ناصرين﴾ بعد أن أذلكم الله الذي أشركتم به أوثاناً، فجعلتموها مودة بينكم في الحياة الدنيا.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ تقرير أن الظَّلَمَة سنتهم أنهم إذا أعيتهم الحجج يلجأون إلى استعمال القوة.

٢ ـ في عدم إحراق النار دليل على أن الله تعالى قادر على إبطال السنن إذا شاء ذلك، ومن هنا تكون الكرامات والمعجزات إذْ هى خوارق للعادات.

٣ ـ بيان أن الخرافيين في اجتماعهم على البدع لم يكن ذلك عن علم بنفع البدعة وإنما لعنصر التوادد والتعارف والتلاقي على الأكل والشرب كما قال إبراهيم لقومه ﴿إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا﴾.

---

(١) قرأ نافع (مودّةً) بالتنوين منصوبا، وقرأ حفص بدون تنوين منصوبا مضافاً إلى الظرف، وقرأ ابن كثير وغيره (مودّةُ) بالرفع مضاف إلى (بينكم) على أنه خبر إنّ وما: اسمها.

(٢) قال القرطبي: معنى الآية: جعلتم الأوثان تتحابون عليها في الحياة الدنيا.

(٣) قال القرطبي: تتبرأ الأوثان من عُبادها، والرؤساء من السفلة كما قال الله عز وجل: (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلا المتقين).

(٤) قيل: يحشرون في النار الرؤساء والأتباع والأوثان كقوله تعالى (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) وقوله: (وقودها الناس والحجارة) وهي الأوثان التي كانت تُعبد من دون الله عزّ وجل.

﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾

شرح الكلمات :

فآمن له لوط	: أي آمن بإبراهيم لوط وهو ابن أخيه هاران ولم يؤمن من قومه سواه .
مهاجر إلى ربي	: أي إلى حيث أعبد ربي فلا أفتن في ديني .
ووهبنا له إسحق ويعقوب	: أي هاجر لأجلنا فأكرمناه في دار هجرته فوهبنا له ذرية هم اسحق الابن ويعقوب الحفيد .
في ذريته النبوة والكتاب	: فكل الأنبياء بعده من ذريته وكل الكتب التي أنزلت بعده فهي في ذريته .
وآتيناه أجره في الدنيا	: وذلك بالرزق الحسن والثناء الحسن على ألسنة كافة الناس من أهل الأديان الإلهية .
وإنه في الآخرة لمن الصالحين	: أي هو أحدهم ، فيكرم كما يكرمون بالدرجات العلا ، والصالحون هم أنبياء الله ورسله وأولياؤه وصالحو عباده .

معنى الآيات :

هذا آخر قصص إبراهيم الخليل في هذا السياق الكريم فأخبر تعالى أن إبراهيم بعد الجهاد الطويل في الدعوة إلى عبادة الرحمن الرحيم لم يؤمن له ولم يتابعه على الحق الذي دعا إليه إلا لوط بن هاران أخيه فقال تعالى : ﴿فآمن له لوط وقال﴾ أي إبراهيم ﴿إني مهاجر إلى ربي[1]﴾ فترك بلاد قومه من سواد[2] العراق وارتحل إلى أرض الشام فأكرمه الله تعالى جزاء

---

(١) المهاجرة : مفاعلة من الهجر الذي هو الترك لما كان ملازماً له وحرف إلى الأصل فيه الانتهاء ، وهي هنا أفادت التعليل : أي لأجل ربي إذ هو الذي أمره بها من أجل أن يعبده في دار هجرته هو وأهله .

(٢) من قرية كوثا من سواد الكوفة إلى حران ثم إلى الشام ، ومعه ابن أخيه لوط بن تارخ ، وامرأته سارة ، وهو أوّل من هاجر في سبيل الله وأوّل من هاجر من أمة محمد ﷺ في سبيل الله تعالى : عثمان بن عفان مع زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة

هجرته إلى ربه عز وجل بما أخبر به في هذا السياق حيث قال : ﴿ووهبنا له إسحق ويعقوب[1] وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب﴾ وهبه أي أعطاه ولده إسحق بن سارة وولد اسحق وهو يعقوب ، وجعل كافة الأنبياء من ذريته وجعل الكتاب فيهم أيضاً فالتوراة أنزلت على موسى ، والزبور على داود ، والانجيل على عيسى وهم من ذرية إبراهيم ، والقرآن الكريم أنزل على محمد ﷺ وهو من ذرية إسماعيل بن إبراهيم وقول إبراهيم هو كما قال : ﴿إني مهاجر إلى ربى﴾ وصف ربه بالعزة والحكمة . فقال : ﴿إنه هو العزيز[2] الحكيم﴾ أي الغالب القاهر ﴿الحكيم﴾ الذي وضع كل شيء في موضعه ، ودلائل العزة ان أنجى إبراهيم من أيدي الظلمة الطغاة ومن مظاهر الحكمة أن نقله من أرض لاخير فيها إلى ارض كلها خير وأكرمه فيها بما ذكر في قوله ﴿ووهبنا له إسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب﴾ وقوله تعالى : ﴿وآتيناه أجره في الدنيا﴾ حيث رزقه أطيب الأرزاق في دار هجرته ورزقه الثناء الحسن من كل أهل الأديان الإلهية كاليهودية والنصرانية ، والإسلام وهو خاتم الأديان هذا في الدنيا أما في الآخرة فإنه من الصالحين ذوي الدرجات العلا والمنازل العالية في مواكب النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ بيان حصيلة دعوة إبراهيم كذا سنة وأنها كانت إيمان واحد بها وهو لوط عليه السلام وفي هذا تسلية للرسول الكريم ﷺ .

٢ ـ بيان إكرام الله تعالى لمن يهاجر إليه ويترك أهله وداره .

٣ ـ بيان ما أكرم الله تعالى به إبراهيم من خير الدنيا والآخرة جزاء صبره على دعوة الله تعالى .

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ

---

(١) هذه الهبة كان قبلها هبة اسماعيل إذ وُلد قبل اسحق عليهم السلام .

(٢) هذه الجملة واقعة موقع التعليل لمضمون جملة (إني مهاجر إلى ربي) لأنّ من كان عزيزا يعتزّ به جاره ، ومن كان حكيما لا يأمر بغير ما هو خير للمأمور الممتثل لأمره.

فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

شرح الكلمات :

ولوطاً إذا قال لقومه : أي واذكر إذ قال لوط بن هاران لقومه أهل سَدُوم .

أئنكم لتأتون الفاحشة : أي الخصلة القبيحة وهي إتيان الذكران في أدبارهم .

ماسبقكم بها من أحدٍ : أي لم تعرف البشرية قبل قوم لوط إتيان الذكران في أدبارهم .

وتقطعون السبيل : أي باعتدائكم على المارة في السبيل فامتنع الناس من المرور خوفاً منكم .

وتأتون في ناديكم المنكر : أي مجالس أحاديثكم تأتون المنكر كالضراط وحل الإزار والفاحشة أي اللواط .

فما كان جواب قومه : أي إلا قولهم ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين .

معنى الآيات :

هذا بداية قصص لوط عليه السلام مع قومه أهل سَدُوم وعموريّة والغرض من سياقه تقرير النبوة المحمدية إذ مثل هذه القصص لا يتم لأحد إلاَّ من طريق الوحي ، وتسلية الرسول من أجل مايلاقي من عناد المشركين ومطالبتهم بالآيات والعذاب قال تعالى : واذكر يارسولنا لقومك لوطاً[1] ﴿إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة﴾ وهي الفعلة القبيحة ويزيدها قبحاً أن الناس قبل قوم لوط لم تحدث فيهم هذه الخصلة ولم يعرفها أحد من العالمين ، ثم يواصل لوط إنكاره وتشنيعه عليهم فيقول : ﴿ائنكم[2] لتأتون الرجال﴾ أي في أدبارهم ﴿وتقطعون السبيل﴾ وذلك أنهم كانوا يعتدون على المارة بعمل الفاحشة معهم قسراً وبسلب أموالهم وبذلك امتنع الناس من المرور فانقطعت السبيل ، كما أنهم بإتيانهم الذكران عطلوا النسل

---

(١) (لوطاً) منصوب إمّا على تقدير اذكر كما في التفسير أو على تقدير وأرسلنا أو انجينا كما تقدم في قوله تعالى : (وابراهيم . .)

(٢) الاستفهام للإنكار والتوبيخ والتقرير على جريمتهم التي لم يسبقهم إليها أحد من العالمين .

بقطع سبيل الولادة، وزاد لوط في تأنيبهم والإنكار عليهم والتوبيخ لهم فقال ﴿وتأتون في ناديكم المنكر﴾ والنادي محل اجتماعهم وتحدثهم وإتيان المنكر فيه كان بارتكاب الفاحشة مع بعضهم بعضاً، وبالتضارط فيه، وحل الإزار، والقذف بالحصى وما إلى ذلك[1] مما يؤثر عنهم من سوء وقبح. قال تعالى: ﴿فما كان جواب قومه﴾ بعد أن أنبهم ووبخهم ناهيا لهم عن مثل هذه الفواحش ﴿إلا أن قالوا إئتنا بعذاب[2] الله إن كنت من الصادقين﴾ أي ماكان جوابهم إلا المطالبة بعذاب الله، وهذه طريقة الغلاة المفسدين والظلمة المتكبرين، إذا أعيتهم الحجج لجأوا إلى القوة يستعملونها أو يطالبون بها. وقوله تعالى: ﴿قال رب انصرني على القوم المفسدين[3]﴾ أي لما طالبوه بالعذاب، وقد أعياه أمرهم لجأ إلى ربه يطلب نصره على قومه الذين كانوا شر قوم وجدوا على وجه الأرض واستجاب الله تعالى له ونصره وسيأتي بيان ذلك في الآيات بعد.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ تقرير النبوة المحمدية بذكر قصص لايتم إلا عن طريق الوحي.

٢ ـ تسلية الرسول ﷺ من أجل مايعاني من المشركين من كفر وعناد ومطالبة بالعذاب.

٣ ـ قبح الفاحشة وحرمتها وأسوأها فاحشة اللواط.

٤ ـ وجوب إقامة الحد على اللوطيّ الفاعل والمفعول لأن الله تعالى سماها فاحشة وسمى الزنا فاحشة ووضع حداً للزنى فاللوطية تقاس عليه، وقد صرحت السنة بذلك فلا حاجة إلى القياس.

٥ ـ التحذير من العبث والباطل قولاً أو عملاً وخاصة في الأندية والمجتمعات.

---

(١) من ذلك: أنهم كانوا يناطحون بين الكباش ويناقرون بين الديوك، والصفير وتطريفُ الأصابع بالحناء وفرقتها، ويحذفون أهل الطريق ويسخرون منهم، روى هذا الترمذي وحسّنه.

(٢) هذا من كفرهم واستهزائهم وعنادهم قطعاً.

(٣) الإفساد في الأرض: هو العمل بمعاصي الله ورسوله ﷺ فكل عامل بالمعاصي فهو مفسد في الأرض، إذ فعل المعاصي يورث الفقر والخوف وهما شرّ ما يُتقى.

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ (٣١) قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٢) وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٣) إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٣٤) وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٣٥)

شرح الكلمات :

بالبشرى : أي إسحٰق ويعقوب بعده.

هذه القرية : أي قرية لوط وهي سدوم.

قالوا نحن أعلم بمن فيها : أي قالت الرسل نحن أعلم بمن فيها.

كانت من الغابرين : أي كانت في علم الله وحكمه من الباقين في العذاب.

سيء بهم : أي حصلت لهم مساءة وغم بسبب مخافة أن يقصدهم قومه بسوء.

وضاق بهم ذرعاً : أي عجز عن احتمال الأمر لخوفه من قومه أن ينالوا ضيفه بسوء.

رجزاً : أي عذاباً من السماء.

بما كانوا يفسقون : أي بسبب فسقهم وهو إتيان الفاحشة.

ولقد تركنا منها آية : أي تركنا من قرية سدوم التي دمرناها آية بينة وهي خرابها ودمارها وتحولها إلى بحر ميت لاحياة فيه .

لقوم يعقلون : أي يعلمون الأسباب والنتائج إذا تدبروا .

معنى الآيات :

مازال السياق في قصص لوط عليه السلام ، إنه بعد أن ذكرهم وخوفهم عذاب الله قالوا كعادة المكذبين الهالكين فائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين وأنه عليه السلام استنصر ربه تعالى عليهم ، واستجاب الله تعالى له وفي هذه الآية بيان ذلك بكيفيته ، قال تعالى : ﴿ولما[1] جاءت رسلنا إبراهيم﴾ الخليل عم لوط ﴿بالبشرى[2]﴾ التي هي ولادة ولدٍ له هو إسحق ومن بعده يعقوب ولد إسحق عليه السلام كما قال تعالى : ﴿وبشرناه باسحق ومن وراء اسحق يعقوب﴾ . ﴿قالوا﴾ أي قالت الملائكة لإبراهيم ﴿إنا مهلكوا أهل هذه القرية﴾ يريدون قرية قوم لوط وهي سدوم وعللوا لذلك بقولهم ﴿إن أهلها كانوا ظالمين[3]﴾ أي لأنفسهم بغشيان الذنوب وإتيان الفواحش، ولغيرهم إذ كانوا يقطعون السبيل وهنا قال لهم إبراهيم : ﴿إن فيها لوطاً﴾ ليس من الظالمين بل هو من عباد الله الصالحين فأجابته الملائكة فقالوا : ﴿نحن أعلم بمن فيها﴾ منك ياإبراهيم . ﴿لننجينه[4] وأهله﴾ من الهلاك ﴿إلا امرأته كانت من الغابرين﴾ وذلك لطول عمرها فسوف تهلك معهم لكفرها ومُمَالأتها للظالمين . وقوله تعالى : ﴿ولما أن جاءت رسلنا لوطاً﴾ أي ولما وصلت الملائكة لوطاً قادمين من عند إبراهيم من فلسطين ﴿سيء بهم وضاق بهم ذرعاً﴾ أي استاء بهم وأصابه غم وهم خوفاً من قومه أن يسيئوا إليهم ، وهم ضيوفه نازلون عليه ولما رأت ذلك الملائكة منه طمأنوه بما أخبر به تعالى في قوله : ﴿وقالوا لاتخف﴾ أي علينا ﴿ولاتحزن﴾ على من سيهلك من أهلك مع قومك الظالمين . ﴿إنا منجوك﴾ من العذاب أنت وأهلك أى زوجتك المؤمنة وبنتيك ، ﴿إلا امرأتك﴾ أي العجوز الظالمة فإنها ﴿من الغابرين﴾ الذين طالت أعمارهم وستهلك مع الهالكين . وقوله تعالى فى الآية (٣٤) : ﴿إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً من السماء

---

(١) (لما) حرف وجود لوجود نحو: لما جاء الحق ذهب الباطل . وهي أداة تدل على التوقيت كما هي ظرف ملازم للاضافة إلى جملة بعدها .

(٢) البُشرى : اسم للبشارة التي هي : الإخبار بما يسرّ المخبر.

(٣) الجملة تعليلية لما تقدمها من الإهلاك .

(٤) قرأ الجمهور نافع وحفص : (لمنجّوك) بتشديد الجيم ، وقرأ ابن كثير (منجوك) بتخفيفها من : أنجاه ينجيه ، ونجي وأنجى بمعنى .

بما كانوا يفسقون﴾ أي أخبرت الملائكة لوطاً بماهم فاعلون لقومه وهو قولهم ﴿إنا منزلون على أهل هذه القرية﴾ أي مدينة سدوم ﴿رجزاً﴾ أي عذاباً من السماء وهي الحجارة بسبب فسقهم بإتيانهم الفاحشة التي لم يسبقهم إليها أحد من العالمين. قال تعالى: ﴿ولقد تركنا منها﴾ أي من تلك القرية ﴿آية بيّنة﴾[1] أي عظة وعبرة، وعلامة واضحة على قدرتنا على إهلاك الظالمين والفاسقين. وقوله تعالى: ﴿لقوم يعقلون﴾ إذ هم الذين يتدبرون في الأمور ويستخلصون أسبابها وعواملها ونتائجها وآثارها أما غير العقلاء فلا حظ لهم في ذلك ولانصيب فهم كالبهائم التي تنساق إلى المجزرة وهي لاتدري وفي هذا تعريض بمشركي مكة وماهم عليه من الحماقة والغفلة.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ حلم إبراهيم ورحمته تجليا في دفاعه عن لوط وأهله.

٢ ـ تقرير مبدإ: من بطّأ به عمله لم يسرع به نسبه، حيث العلاقة الزوجية بين لوط وامرأته العجوز لم تنفعها وهلكت لأنها كانت مع الظالمين بقلبها وسلوكها.

٣ ـ مشروعية الضيافة وتأكدها في الإسلام لحديث الصحيح «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه».

٤ ـ التنديد بالفسق عن طاعة الله وهو سبب هلاك الأمم والشعوب.

٥ ـ فضيلة العقل إذا استعمله صاحبه في التعرف إلى الحق والباطل والخير والشر.

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾

---

(١) المعنى: ولقد تركنا من القرية آثارا دالة عليها، وهي بقايا القرية المغمورة بماء بحيرة لوط تلوح من تحت المياه، مع بقايا لون الكبريت والمعادن التي رجمت بها قريتهم.

شرح الكلمات :

وإلى مدين : أي وأرسلنا إلى قبيلة مَدْين، ومدين أبو القبيلة فسميت باسمه.

أخاهم شعيباً : أي أخاهم في النسب.

اعبدوا الله : أي اعبدوه وحده ولاتشركوا به شيئاً.

وارجوا اليوم الآخر : أي آمنوا به وتوقعوا مجيئه ومايحدث فيه.

ولاتعثوا في الأرض مفسدين : أي ولاتعيثوا في الأرض فساداً بأن تنشروا فيها الفساد وهو العمل بالمعاصي فيها.

فأخذتهم الرجفة : الهزة العنيفة والزلزلة الشديدة.

في دارهم جاثمين : لاصقين بالأرض أمواتاً لايتحركون.

معنى الآيتين :

هذا موجز لقصة[1] شعيب عليه السلام مع قومه أهل مدين، والعبرة منه إهلاك تلك الأمة لما كذبت رسولها واستمرت على الشرك والمعاصي لعل قريشاً تعتبر بها أصاب هذه الأمة من هلاك ودمار من أجل تكذيبها لرسولها وعصيانها لربها قال تعالى ﴿وإلى مدين[2]﴾ أي وأرسلنا إلى مدين ﴿أخاهم شعيباً﴾ وهو نبيّ عربي فلما انتهى إليهم برسالته قال ﴿ياقوم اعبدوا الله﴾ أي وحدوه في عبادته وأطيعوه فيما يأمركم به وينهاكم عنه من التطفيف في الكيل والوزن، ﴿وارجوا[3] اليوم الآخر﴾، أي آمنوا بيوم القيامة وتوقعوا دائماً مجيئه وخافوا مافيه من أهوال وأحوال فإن ذلك يساعدكم على التقوى وقوله : ﴿ولاتعثوا[4] في الأرض مفسدين﴾ وذلك أنهم ينقصون الكيل والوزن ويبخسون الناس أشياءهم ويفسدون في الأرض بالمعاصي. وقوله تعالى : ﴿فكذبوه﴾ أي كذب أصحاب مدين نبيهم شعيباً فيما أخبرهم به ودعاهم إليه ﴿فأخذتهم[5] الرجفة﴾ أي رجفة الهلاك من تحتهم فأصبحوا في دارهم جاثمين على الركب

---

(١) هذه القصة معطوفة على سابقاتها : قصة نوح وإبراهيم ولوط عليهم السلام

(٢) إن طلبت المناسبة بين قصة لوط وقصة أصحاب مدين فإنها في كون مدين من أبناء ابراهيم وكون لوط من الأسرة الإبراهيمية وأوضح من هذا السبب قرب الديار من بعضها، فمدين غير بعيدة من قرى لوط.

(٣) أمره إيّاهم برجاء اليوم الأخر دال على أنهم ما كانوا يؤمنون باليوم الأخر أو ذكرهم به لغفلتهم عنه بارتكاب المعاصي وغشيان الذنوب.

(٤) العثو : بالواو كالدنو والعثي بالياء كالعصي : أشد الفساد، وفعله : عثا يعثو، وعثي كرضي يعثى كيرضى بمعنى واحد.

(٥) الفاء للسببية، (والرجفة) الزلزال الشديد الذي ترجف منه الأرض والقلوب وكانت هذه الزلازل مصحوبة بصيحة شديدة انخلعت منها القلوب.

هلكى وماظلمهم الله ولكن كانوا هم الظالمين.

هداية الآيتين :

من هداية الآيتين :

١ ـ تقرير التوحيد والنبوة والبعث الآخر.

٢ ـ حرمة الفساد في الأرض وذلك بارتكاب المعاصي وغشيان الذنوب.

٣ ـ بيان نقمة الله تعالى على المكذبين والظالمين والفاسقين.

وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات :

وعاداً وثمودا : أي وأهلكنا عاداً القبيلة وثمود القبيلة كذلك.

وقد تبين لكم من مساكنهم : أي تبين لكم إهلاكهم من مساكنهم الخالية منهم بالحجر شمال الحجاز والشحر جنوب اليمن.

عن السبيل : أي سبيل الهدى والحق التي بينتها لهم رسلهم.

كانوا مستبصرين : أي ذوي بصائر لما علمتهم رسلهم.

وقارون وفرعون وهامان : أي وأهلكنا قارون بالخسف وفرعون وهامان بالغرق.

فاستكبروا	: أي عن عبادة الله تعالى وطاعته وطاعة رسله.
وما كانوا سابقين	: أي فائتين عذاب الله أي فارين منه، بل أدركهم.
فكلاً أخذنا بذنبه	: أي فكلٍ واحد من المذكورين أخذناه بذنبه ولم يفلت منا.
ومنهم من أرسلنا عليه حاصباً	: أي ريحاً شديدة، كعاد
ومنهم من أخذته الصيحة	: أي ثمود.
ومنهم من خسفنا به الأرض	: أي كقارون.
ومنهم من أغرقنا	: كقوم نوح وفرعون.

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى في الآيات قبل ذي[1] إهلاكه لقوم لوط وقوم شعيب وقوم نوح من قبل لما ردوا دعوته وكذبوا رسله ذكر بقية الأقوام الذين كذبوا بآيات الله ورسله فأهلكهم، فقال عز وجل : ﴿وعاداً وثموداً[2]﴾ أي وأهلكنا كذلك عاداً قوم هود، وثمود قوم صالح! وقوله تعالى : ﴿وقد تبينَ[3] لكم من مساكنهم﴾ أي وقد تبين لكم يامعشر كفار مكة ومشركي قريش من مساكنهم بالحجر[4] والشجر[5] من حضرموت مايؤكد لكم إهلاكنا لهم، إذ مساكنهم الخاوية دالة على ذلك دلالة عين. وقوله تعالى : ﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ أي وقد زين لهم الشيطان أعمالهم من الشرك والشر والظلم والفساد وصدهم بذلك التزيين عن السبيل، سبيل الإيمان والتقوى المورثة للسعادة في الدنيا والآخرة. وقوله : ﴿وكانوا مستبصرين[6]﴾ أي ذوي بصائر أي معرفة بالحق والباطل والخير والشر لما علمتهم الرسل ولكن آثروا أهواءهم على عقولهم فهلكوا. وماظلمهم الله ولكن كانوا هم الظالمين. وقوله تعالى : ﴿وقارون وفرعون وهامان﴾ أي أهلكنا قارون الإسرائيلي ابن عم موسى عليه السلام، أهلكناه ببغيه وكفره، فخسفنا به الأرض وبداره أيضاً، وفرعون وهامان اغرقناهما في اليم بكفرهما وطغيانهما

(١) وجه المناسبة ظاهر بين هذه الآيات وسابقتها وهي إتمام ذكر كل من قص تعالى في كتابه قصصهم مفصلة في الأعراف وهود والشعراء والنمل والقصص. فذكر بإيجاز من لم يذكرهم في هذا العرض من هذه السورة. فذكر عاداً وثموداً وقارون وفرعون وهامان.

(٢) وعاداً جائز أن يكون منصوباً بفعل مقدر، وأهلكنا عاداً أو اذكر عاداً.

(٣) الجملة حالية.

(٤) مدائن صالح.

(٥) منازل عاد.

(٦) الاستبصار: البصارة بالأمور، والسين والتاء للتأكيد كالاستحباب بمعنى الحب، والمراد أنهم أهل بصائر ومعرفة بالأمور لما لهم من عقول صالحة للنظر والإدراك، وما في التفسير وجه أحسن من هذا.

وظلمهما واستعلائهما وذلك بعدما جاءهم موسى بالبينات من الآيات والحجج الواضحات التي لم تُبق لهم عذراً في التخلف عن الإيمان والتقوى ولكن ﴿فاستكبروا في الأرض﴾[1]، أرض مصر وديارها فرفضوا الإيمان والتقوى ﴿وماكانوا سابقين﴾ ولافائتين فأحلّ الله تعالى بهم. نقمته وأنزل بهم بأسه الذي لايرد عن القوم الظالمين. ثم في الآية الأربعين من هذا السياق بين تعالى أنواع العذاب الذي أهلك به هؤلاء الأقوام، فقال: ﴿فكلاً﴾[2] أي فكل واحد من هؤلاء المكذبين ﴿أخذنا بذنبه فمنهم[3] من أرسلنا عليه حاصباً﴾ أي ريحاً شديدة كعاد. ﴿ومنهم من أخذته الصيحة﴾ كثمود ﴿ومنهم من خسفنا به الأرض﴾ كقارون ﴿ومنهم من أغرقنا﴾ كفرعون، وقوله تعالى. ﴿وما كان الله ليظلمهم﴾ أي لم يكن من شأن الله تعالى الظلم فيظلمهم، ﴿ولكن كانوا﴾ أي أولئك الأقوام ﴿أنفسهم يظلمون﴾ بالشرك والكفر والتكذيب والمعاصي فأهلكوها بذلك، فكانوا هم الظالمين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - بيان أن الشيطان هو سبب هلاك الأقوام وذلك بتزيينه لهم الشر والقبيح كالشرك والباطل والشر والفساد.

٢ - بيان أن الاستكبار كالظلم عاقبتها الهلاك والخسران.

٣ - بيان أن الله تعالى ماأهلك أمة حتى يبين لها مايجب أن تتقيه[4] من أسباب الهلاك والدمار فإذا أبت إلا ذاك أوردها الله موارده.

مَثَلُ ٱلَّذِينَ
ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ

(١) إن فرعون وهامان وقارون شأنهم شأن أبي جهل والعاص بن وائل والنضر بن الحارث ما حملهم على الكفر والعناد إلاّ الاستكبار في البلاد.

(٢) (فكلًا): الفاء للتفريع على ما سبق: قوله تعالى: (وعاداً) إذ التنوين عوضٌ عن كلمة أي: فكل واحد ممّن ذُكروا من عاد إلى قارون أخذ الله أي: أهلك بذنبه، ولم يظلمهم الله تعالى بإهلاكه إيَّاهم.

(٣) الفاء للتفريع إذ هذا التفصيل بعد الفاء متفرع عن ذلك الإجمال المذكور في قوله: (فكلاً أخذنا بذنبه).

(٤) شاهده في قول الله تعالى من سورة التوبة: (وما كان الله ليضلّ قوماً حتى يبيّن لهم ما يتقون) والإضلال سبيل الهلاك وطريقه.

ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴿٤٥﴾

شرح الكلمات :

مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء : أي صفة وحال الذين اتخذوا أصناماً يرجون نفعها.

كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً : أي لنفسها تأوي إليه.

أوهن البيوت : أضعف البيوت وأقلها جدوى.

يعلم مايدعون من دونه من شيء : أي من الأوثان والأصنام وغيرها.

وهو العزيز الحكيم : أي الغالب على أمره الحكيم في تدبير أمور خلقه.

ومايعقلها إلا العالمون : أي العالمون بالله وآياته وأحكام شرعه وأسراره.

خلق الله السموات والأرض بالحق : أي من أجل أن يعبد لا للهو ولا لباطل.

أتل ما أوحي إليك من الكتاب : اقرأ يارسولنا ما أنزل إليك من القرآن.

وأقم الصلاة : بأدائها مقامة مراعى فيها شروطها وأركانها وواجباتها وسننها.

تنهى عن الفحشاء والمنكر : أي الصلاة بما توجده من نور في قلب العبد يصبح به لايقدر على فعل فاحشة ولا إتيان منكر.

ولذكر الله أكبر : أي ذكر الله عبده أكبر من ذكر العبد ربه كما ان ذكر

الله أكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر من الصلاة وغيرهما.

معنى الآيات :

بعد أن ذكر تعالى نقمته على أعدائه الذين كفروا به وأشركوا غيره في عبادته وكذبوا رسله وكان ذلك تنبيهاً وتعليمًا للمشركين والكافرين المعاصرين لنزول القرآن لعلهم يستجيبون للدعوة المحمدية فيؤمنوا ويوحدوا ويسلموا فيسلموا من العذاب والخسران. ذكر هنا في هذه الآيات مثلاً لعبادة الأوثان في عدم نفعها لعابديها والقصد هو تقرير التوحيد، وإبطال الشرك العائق عن كمال الإنسان وسعادته وقال تعالى : ﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله﴾ أي شركاء وهي الأصنام والأوثان يعبدونها راجين نفعها وشفاعتها لهم عند الله تعالى ﴿كمثل العنكبوت[1] اتخذت بيتاً﴾ لتأوي إليه قصد وقايتها مما تخاف من جراء برد أو اعتداء حشرة عليها، ﴿وإن أوهن[2] البيوت لبيت العنكبوت﴾ والحال أن أوهن البيوت أي أضعفها وأحقرها شأناً وأقلها مناعة هو بيت العنكبوت فهذه حال المشركين الذين اتخذوا من دون الله ﴿أولياء﴾ أي اصناماً يرجون النفع، ودفع الضر بها فهم واهمون في ذلك غالطون، مخطئون، إنه لاينفع ولايضر إلا الله فليعبدوه وحده وليتركوا ماسواه. وقوله : ﴿لو كانوا يعلمون﴾ أي لو كان المشركون يعلمون أن حالهم في عبادتهم غير الله في عدم الانتفاع بها كحال العنكبوت في عدم الانتفاع ببيتها الواهي لما رضوا بعبادة غير الله وتركوا عبادة الله الذي بيده كل شيء وإليه مصير كل شيء. وقوله تعالى : ﴿إن الله يعلم مايدعون من دونه من شيء﴾ فيه تهديد للمشركين المصرين على الشرك بأنه لايخفى عليه ماهم عليه من دعاء غيره، ولو شاء لأهلكهم كما أهلك من قبلهم ﴿وهو العزيز﴾ أي الغالب على أمره ﴿الحكيم﴾ في تدبير خلقه ولذا يعجل العقوبة لمن يعجل لحكمة ويؤخرها لمن يؤخرها عنه لحكمة فلا يغتر المشركون بتأخير العذاب، ولايستدلون به على رضا الله تعالى بعبادتهم، وكيف يرضاها وقد أهلك أمماً بها وأنزل كتابه وبعث رسوله لإبطالها والقضاء عليها وقوله

---

(١) العنكبوت : صنف من الحشرات ذات بطون وأرجل وهي ثلاثة أصناف : منها صنف يسمى ليث العنكبوت، وهو الذي يفترس الذباب وكلها تتخذ لنفسها نسيجاً تنسجه من لعابها يكون خيوطاً مشدودة بين طرفين من الشجر أو الجدران، وتتخذ في وسط تلك الخيوط جانباً أغلظ وأكثر خيوطاً فتحتجب فيه ويسمى بيتاً لشبهه بالخيمة لأنه منسوج ومشدود من أطرافه فهو كبيت الشعر، وجملة : (اتخذت بيتاً) حال من العنكبوت ويصغر على العنيكبوت ويجمع على : عناكب.

(٢) (وإن أوهن البيوت . .) هذه الجملة معترضة مبيّنة لوجه الشبه وتجري هذه الجملة مجرى المثل يضرب للشيء إذا قلّت فائدته وجدواه.

تعالى : ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس﴾[1] أي وهذه الأمثال نضربها للناس لأجل إيقاظهم وتبصيرهم وهدايتهم ، وما ﴿يعقلها إلا العالمون﴾ أي ومايدرك مغزاها وماتهدف إليه من التنفير من الشرك العائق عن كل كمال وإسعاد في الدارين ﴿إلا العالمون﴾[2] أي بالله وشرائعه وأسرار كلامه وماتهدي إليه آياته . وقوله تعالى : ﴿خلق الله السموات والأرض بالحق﴾ إخبار بأنه تعالى هو الذي خلق السموات والأرض وهي مظاهر قدرته وعلمه وحكمته موجبة لعبادته بتعظيمه وطاعته ومحبته والإنابة إليه والخوف منه . وخلقهما بالحق لا بالباطل وذلك من أجل أن يذكر فيهما ويشكر فمن كفر به فترك ذكره وشكره كان كمن عبث بالسموات والأرض وأفسدها ، لذا يعذب نظراً إلى عظم جرمه عذاباً دائماً أبداً . وقوله : ﴿إن في ذلك لآية للمؤمنين﴾ أي إن في خلق السموات والأرض[3] بالحق ﴿لآية﴾ أي علامة بارزة على وجود الله وقدرته وعلمه وحكمته ، وهذه موجبات ألوهيته على سائر عباده فهو الإله الحق الذي لارب غيره . ولا إله سواه وبعد هذا البيان والبرهان لم يبق عذر لمعتذر ، وعليه فـ ﴿اتل﴾[4] أيها الرسول ﴿ما أوحي إليك من الكتاب﴾ تعليماً وتذكيراً وتعبداً وتقرباً ﴿وأقم الصلاة﴾ طرفي النهار وزلفاً من الليل فإن في ذلك عوناً كبيراً لك على الصبر والثبات وزاداً عظيماً لرحلتك إلى الملكوت الأعلى . وقوله تعالى : ﴿إن الصلاة تنهى[5] عن الفحشاء والمنكر﴾ تعليل للأمر بإقام الصلاة فإن الصلاة بما توجده من إشراقات النفس والقلب والعقل حال تحول بين العبد وبين التلوث بقاذورات الفواحش ومفاسد المنكر وذلك يفيد إقامتها لا مجرد أدائها والإتيان بها . وإقامة الصلاة تتمثل في الإخلاص فيها لله تعالى أولاً ثم بطهارة القلب من الالتفات إلى غير الرب تعالى أثناء أدائها ثانياً ، ثم بأدائها في أوقاتها المحددة لها وفي المساجد بيوت الله ، ومع جماعة المسلمين عباد الله وأوليائه ، ثم بمراعاة أركانها من قراءة الفاتحة والركوع والطمأنينة فيه والاعتدال والطمأنينة فيه ، والسجود على الجبهة والأنف والطمأنينة فيه ، وآخر أركانها الخشوع وهو السكون ولين القلب وذرف الدمع . هذه هي الصلاة التى

---

(١) (وتلك الأمثال) مبتدأ والخبر: جملة (نضربها للناس) .

(٢) عنه ﷺ أنه قال: (العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه .)

(٣) لفظ السموات والأرض: يشمل ذاتهما والموجودات المظروفة فيهما .

(٤) المراد من: (اتل): مداومة تلاوة ما أوحي إليه وهو القرآن الكريم .

(٥) قيل لابن عطية: إن حماداً وابن جريج والكلبي يقولون: الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ما دام العبد فيها . قال: هذه عجمة أي: نسبهم إلى قلة الفهم وهو كذلك للحديث وهو قوله ﷺ: (من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له) وقال له أحد الصحابة: إن فلاناً يصلي بالليل فإذا أصبح سرق . فقال: سينهاه ما تقول . يعني صلاته .

توجد طاقة النور التي تحول دون الانغماس في الشهوات والذنوب وإتيان الفاحشة وارتكاب المنكر. وقوله تعالى: ﴿ولذكر الله أكبر﴾ أي أكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر من إقامة الصلاة لأن الصلاة أثناء أدائها مانعة عاصمة لكن إذا خرج منها، قد يضعف تأثيرها، أما ذكر الله بالقلب واللسان في كل الأحيان فهو عاصم مانع من الوقوع في الفحشاء والمنكر وفي اللفظ معنى آخر وهو أن ذكر الله للعبد في الملكوت الأعلى أكبر من ذكر العبد للرب في ملكوت الأرض ويدل عليه قوله: «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملإ، ذكرته في ملإ خير منه» كما في الحديث الصحيح. وقطعاً والله لذكر الرب العبد الضعيف أكبر من ذكر العبد الضعيف الرب العظيم. اللهم اجعلنا من الذاكرين الشاكرين لآلائك. وقوله: ﴿والله يعلم ماتصنعون﴾[1] فيه وعد وعيد، فإن علمه يترتب عليه الجزاء فمن كان يصنع المعروف جزاه به، ومن كان يصنع السوء جزاه به. اللهم ارزقنا صنائع المعروف وأبعد عنا صنائع السوء آمين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعاني للأفهام.

٢ - تقرير التوحيد وإبطال التنديد.

٣ - فضل العلماء على غيرهم، العلماء بالله، بصفاته وأسمائه وآياته، وشرائعه، وأسرارها.

٤ - وجوب تلاوة القرآن، وإقامة الصلاة، وذكر الله، إذ هي غذاء الروح وزاد العروج إلى الملكوت الأعلى.

٥ - بيان فائدة إقام الصلاة وتلاوة القرآن وذكر الله تعالى بالقلب واللسان.

(١) في الآية وازع المراقبة، وعليه فتلاوة القران وإقام الصلاة وذكر الله تعالى ومراقبته. هذه الأربعة تمثّل سبيل السلام إلى دار السلام من سلكه نجا ومَن تنكّبه هلك، والعياذ بالله العليم الحكيم.